ألمدرسة الرضوانية

في الأحوال الربانية والأسرار الألهية

للقطب العارف بالله تعالي ألحاج أحمدرضوان

تأليف ألمحب الصادق ألحاج أحمدعبدالملك

أعدهذه النسخة وجعل منها كتاب ألكتروني
(أحمد عبادي شحات علي)
(مفتش أول المساجد بوزارة الأوقاف المصرية)

وذلك في يوم الأربعاء ألموافق ٢٥من جمادي الأولي
عام١٤٣٠هجرية موافق ٢٠من مايوا سنة ٢٠٠٩م .

Created by AcroPlot Evaluation Version.

المدرسة الرضوانية

فى الأحوال الربانية والأسرار الإلهية

للقطب العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان

تأليف

المحب الصادق الحاج أحمد عبد الملك

المدرسة الرضوانية

فى الأحوال الربّانية والأسرار الإلٓهية

للقطب العارف بالله تعالى الحاج أحمد رضوان

المكتبة الدراسية الإسلامية
د/ محمد هادى شحات
"العباسى"
الجبيل - الأقصر

تأليف

المحب الصادق الحاج أحمد عبد الملك

ربيع الثانى ١٣٩٢
مايـــو ١٩٧٢

المكتبة الدراسية الإسلامية
محمد طحاوي شحات
"العباسي"
الجبيل - الأقصر

الاستفتاح

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى الهم التوحيد عباده فبالهامه لهم وحدوه فتجلى عليهم سبحانه وتعالى بصفته الجمالية فأحبوه وعشقوه ففنوا فى توحيده ، فثبتهم عنده ، وثبتوا على الايمان ، فلم يروا غيره ، وأفاض عليهم باليقين ففروا من أنفسهم اليه .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده ، لا شريك له خلق فابدع ، وأعطى فاجزل ، وتكرم فاغدق سبحانه سبحانه له الامر كله ، وله الملك كله ، ولله الحكم كله ، فهو سبحانه اذا شاء فعل .

واشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى جعله الله دلالة عليه ، وطريقا اليه ، ونورا من نوره ، متصلا به اليه صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه الذين باعوا أرواحهم اليه فأحسنوا الصحبة وأخلصوا المودة حتى كانوا وكأنهم هم الشرع والمشرعون ، وصل وسلم على كل تابع ومتبوع لتابع ، وعلى كل من سار السير ونهج النهج الى يوم الدين .

.. أما بعد ..

فان الله سبحانه وتعالى اذا أراد بعبده خيرا مكنه من نفسه حتى ساقها بفيض الله الى فيض الله ، ومن فيض الله على فيض الله ، واذا أراد له اظهار ما أعطاه مكنه من روحه ومكن روحه منه حتى اختارت ما اختاره الله سبحانه وتعالى فكانت روحا طاهرة تحب الطهر والطهارة ، روحا ذكية تحب الذكرى وتحبيها العبارة ، فتوجد على موائد الله حتى تكون على توحيد الله اشارة ودلالة ، فان الله سبحانه وتعالى اذا اراد ان يتجلى بصفة الجمال على عبده أحضره فى ذكره فلم يغب العبد عن مشاهدة جمال مولاه ، ثم رغبه فى الطاعة ، فكانت له المنهاج والهدى والنور والهداية ، ثم اختار الله لهم صحبة طاهرة تدله على طريق الله ، الواسعة الجوانب المتسعة الافق ، القريبة من متناول الخير ومن كل ما يبتغيه العبد المؤمن ، فأهل التوحيد الحق أهل

اختيار من الله الحق ، اختارهم فاختاروه وقربهم فطلبوه ، وذكرهم فوحدوه . فاهل الحق لا يرون فى ملك الحق الا الحق سبحانه وتعالى ، وأهل الصدق لا يرون فيما اوجد الحق الا الحق ، واهل الايمان أهل خوف ، واهل الخوف أهل عمل دائم ، وأهل الرجاء أهل ذكر ، واهل فكر ، واهل خير ، وأهل مـودة .

وكاتب كتاب المدرسة الرضوانية سيدى وشيخى الحاج احمد عبد المالك ما توانى يوما فى المحبة وما سها يوما عن الاخلاص ولم يترك ما فيه النفع يمر عليه دون أن ينتفع به . لمـاذا ؟

لانه أخلص الصحبة . وأهل الاخلاص أهل وفاء ، والوفاء هو أن تكون مع من تحب فى قوله ، عملا وحالا ، وفى ذوقه حالا واستدلالا ، وقد اتى لنـا بالصدق فيما كتب وبالاخلاص فيما نطق ، قال فوق وكتب فصدق وذلك من خير الله الى عباد الله ليقروا ويعترفوا بان مائدة الله أى مائدة فيضه وفضله ممدودة للطالبين وحاضرة للراغبين ، مذاقها حلو وطعمها حكمة وغذاؤها توحيد ، والنظر فيها مدد ومددها فيض وفيضها كرم ، وكرمها اخلاص ، واخلاصها وفاء بعهد الله وبعهد رسول الله وبعهد الصحبة المخلصة .

اللهم امدنا بمدد من أمددته ، وأعطنا عطاء كما أعطيته ، واجعلنا على مائدة جودك وفيضك وكرمك لنتغذى من منهل نهل منه من قربتهم ونتغذى من فيض تفضلت عليهم به يا الله ، يا حسب من التجأ اليك يا ملاذ العائذين بك ، يا رجاء المستدلين عليك،يا أمل من لا أمل له الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته والتابعين الى يوم الدين ..

محمد بن احمد بن محمد بن رضوان
البغدادى — الاقصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الولاية سرا من أسراره ، ونورا يقذفه فى قلوب الخاصة من عباده تعرف اليهم فبه عرفـوه ، وأوضـح لهم طـريقه فسلكوه ، وطهر قلوبهم فما أنسوا بغيره ولا ألفوه ، أحمده سبحانه وتعالى حمدا دائما وأشكره فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له فاوت بين خلقه فى المراتب. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى يستسقى بوجهه الغمـام الساكب ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه الذين سعـدوا به فى الدنيـا والآخرة . وأولئك هم الفائزون .

.. أما بعد ..

فقد طلب منى من طاعته غنم ، ومخالفته غرم ألا وهو العارف بالله تعالى السيد « محمد أحمد رضوان » أن أكتب تعليقا وجيزا يتضمن بحثا عن صلتى بمولاى وقرة عينى والد سيادته سلطان العارفين وقدوة الأولياء والصالحين ، والفقراء والسالكين لعلم سـيادته أنى شرفت بمصاحبته زمنـا غير قصير وسـعدت بمحبته حتى غبطنى الـكبير والصغير ، فامتلأ القلب حياء ومهابة ، وحسبت للموقف مقامه لأنى لست لذلك أهلا . مع عروض الموانع ، وترادف الشواغل والقـواطع ولكن الخواطر ، وظلمة الباطن والظاهر ، ومع اعتقادى أنى على أشنع مما وصفت وفوق ما عرفت الا أنى استخرت الله تعالى وتبت اليـه واستعنت به وهو اللطيف الخبير ، (ذاكرا قـول النبى صلى الله عليه وسلم) : « سيروا الى الله عرجا ومكاسير » وسميته « المدرسة الرضوانية فى الأحوال الربانية والاسرار الالهية » والله أسأل أن يكتب له القبول ويمن علينا بالوصول انه خير مجيب وأكرم مسئول. « آمـين » .

اثبات كرامات الأوليـاء

لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الباسط ابراهيم بلبول
بكلية أصـول الدين

خاطر قوم بعقولهم ودينهم ، فخالفوا الثابت فى القرآن الكريم ، وصريح السنة ، ونسوا أن الله ــ تبارك وتعالى ــ يختص من شاء بما شاء ، وقد اختص الله أولياءه بالبشرى التى لا حدود لها ولا غاية، ومنحهم من فضله ورضوانه ، ودافع عنهم ضد من ينال منهم ، حتى آذن من عاداهم بالحرب ، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عادى لى وليـا ، فقد آذنته بالحرب » .

وهنا نتساءل : أليس الله بقادر على ايجاد الامر غير العادى ؟ اذا كان الجواب بالايجاب ، وأن ذلك مقدور له ، فلم انكار وقوعه ؟ مع تجاهل اعتبار ظهور الكرامة على يد الولى ، دليل صـدقه فى ذاتـه وأحواله ؟ !!

روى أبو داود فى سننه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنـه قال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله أناسا ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، يوم القيامة ، بمكانهم من الله ، قالوا يا رسول الله : فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونهـا ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ، « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون » .

ويلزمنا أن نبادر فنقول : من هم الأوليـاء ؟

والجواب على ذلك السؤال ما نص عليه ابن كثير فى تفسيره قال :

قال عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وغير واحد من السلف : « أولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله » ، وقد ورد فى هذا حديث مرفوع عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله : من أولياء الله ؛ قال : الذين اذا رءوا ذكر الله :

والمؤمن المتقى الصادق يذكر الله عند رؤيته ، وقد تأكدت كرامة الله له بالنص والعقل :

قال صاحب كتاب[1] « التعرف لمذهب أهل التصوف » فى البـاب السادس والعشرين منه ، ما نصه : « أجمعوا على اثبـات كرامـات الأولياء ، وان كانت تدخل فى باب المعجزات ، كالمشى على الماء ، وكلام البهائم ، وطى الأرض ، وظهور الشىء فى غير موضعه ووقته ، وقد جاءت بها الأخبار ، وصحت الروايات ، ونطق بها التنزيل ، من قصـة الذى عنده علم من الكتاب ، فى قوله تعالى : « أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » وقصة مريم ، حين قال لها زكريا : « أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله » [2] ، وقصة الرجلين اللذين كانا عند النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم خرجا ، فأضاء لهما سوطاهما ، وغير ذلك ، وجواز ذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وغير عصره واحد ، وذلك أنه اذا كانت فى عصر النبى للنبى صلى الله عليه وسـلم ، على معنى التصديق ، لكان فى غير غيره على معنى التصديق ، وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين نادى سارية بن حصن : الجبل الجبل ، وعمر بالمدينة على المنبر ، وسارية فى وجه العدو ، على مسيرة شهر والأخبار فى هذا كثيرة وافرة » ا هـ .

واليك الأدلة العقلية القاطعة على جواز الكرامات : ــ

الدليل الأول : المؤمن التقى ولى بنص قوله تعالى : « ألا ان أولياء الله ، لا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا ، وكانوا يتقون » والرب ولى المؤمن الصالح بنص قوله : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » وقوله : « وهو يتولى الصالحين » .

فثبت بذلك أن الله ولى العبد ، والعبد ولى الرب ، كمـا ثبت ان الرب حبيب العبد ، والعبد حبيب الرب ومرادنا العبد التواب المتطهر قال تعالى : « يحبهم ويحبونه » « والذين آمنوا أشد حبا لله » « ان الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين » .

---

(١) هو الامام أبو بكر محمد بن اسحاق البخارى الكلاباذى .

(٢) قال المفسرون كان زكريا عليه السلام يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء .

وما دام ذلك قد ثبت ، وبلغ العبد فى الطاعة حدا لا يخرج به ، عن أمر الله ونهيه . فكيف بعد ذلك يتخلى الله عن عبده ، ولا يفعل ما يريد ، بل الأولى ان العبد مادام قد فعل ذلك مع عجزه وغروره ، فان الرب الكريم يقابل عمله ببره وتكريمه فيفعل به ما يريد ، وفوق ما يريد ، من باب أولى ...

الدليل الثانى : اذا لم تقع الكرامة كما يدعى المنكرون ، فاما أن يكون ذلك ناشئا من أن الله ليس أهلا لها ، أو أن العبد ليس أهلا لها والأول مناف للقدرة الالهية والهيمنة المطلقة على سائر المخلوقات، والثانى باطل ، وذلك أن مواصلة العبد للطاعة واستغراق ذاته فيها ، أعظم ألف مرة من خرق العادات ، ومادام العبد قد أعطى المحبة ، والمعرفة ، والذكر ، والشكر ، وهى ما هى من الشرف والمنزلة ، فلأن يعطى العبد الكرامات من باب أولى .

الدليل الثالث : جرت عادة الملوك والرؤساء أن من يخصونهم بالخدمة، فان ذلك يؤهلهم لتصرفات لا يقدر عليها غيرهم ، واذا كان ذلك فى شأن الخلق ، فما بالك بمن اصطفاهم الله لعبادته ومنحهم من أسرار معرفته ، وأطلعهم على بعض خصائص أسمائه وصفاته ، وأجلسهم على بساط قربه ؟ مع أن تلك الكرامات أقل بكثير من هذه المنح الالهية والعطايا الواسعة .

الدليل الرابع : بالطاعة تقوى روح العبد ، وبالنوافل على وجه مخصوص بعد أداء الفرائض يسمع العبد بسمع الله ، ويرى ببصر الله ، كما ثبت فى الحديث الصحيح ، فاذا تحقق العبد بذلك ، فلا غرابة اذا أجرى الله على يديه الكرامات ، وأسبغ عليه المكرمات .

الدليل الخامس : الروح من جنس عالم الملائكة ، ولما اتصلت بالبدن، نسيت عالمها العلوى ، وحجبت عنه ، وبالمجاهدة تعود الى عالمها الأول ، وتشرق عليها أنواره ، فتقوى على التصرف فى هذا العالم ، وتكون كالملائكة تقدر على مالا يقدر عليه الجاهلون ، وليعلم من لم يكن يعلم أن الأرواح منها القوية والضعيفة ، ومنها النورانية والكدرة، والأرواح القوية النورانية تتطلع بقوة علوية يختص الله بها من يشاء من عباده ...

ومن أراد المزيد والاستيعاب ، فليقرأ الفخر الرازى فى قصة أصحاب الكهف .

وهنا يتردد سؤال مضمونه لماذا كثرت الكرامات بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل الامام أحمد رضى الله عنه مابال الكرامات لم تكثر فى عهد الصحابة ، كما كثرت بعدهم ، وان كانت كثيرة فى نفسها ؟

فأجاب رضى الله عنه : كان الايمان قويا فى عهدهم ، فلم يكونوا بحاجة يقوى بها ايمانهم ، أما غيرهم فقد ضعف الايمان فى عصره ، فاحتيج الى تقويته باظهار الكرامة .

قال الامام اليافعى ما خلاصته : والعجب كل العجب ممن ينكر الكرامات وقد جاءت فى القرآن والسنة والآثار المشهورة عن السلف والخلف ، وبلغت من الكثرة والشهرة ما يخرج عن الحصر وأضاف ما نصه :

« ثم ان كثيرا من المنكرين ، لو رأوا الأولياء والصالحين ، يطيرون فى الهواء لقالوا هذا سحر ، أو قالوا هؤلاء شياطين ، ولا شك أن من حرم التوفيق ، فكذب بالحق غيبا وحسدا ، كذب به عيانا وحسا ، كما قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا ، ان هذا الا سحر مبين » .

سئل الشبلى رضى الله عنه : ان أبا تراب جاع فى البادية فرآى البادية كلها طعاما ، فقال : عبد رفق به ، ولو بلغ الى محل التحقيق ، لكان كمن قال : أبيت عند ربى ، يطعمنى ويسقينى » .

ولا عجب : فكرامات الاولياء كثيرة متنوعة منها ماذكره تاج الدين السبكى فى طبقاته احياء الموتى ، وكلامهم ، وانفلاق البحر ، وجفافه والمشى على الماء ، وانزواء الأرض ، وكلام الجمادات والحيوانات . وطاعتهم وابراء العلل ، والاخبار بالمغيبات ، ورؤية المكان البعيد من وراء الحجب ، والتطور بأطوار مختلفة ، والاطلاع على كنوز الأرض، والمؤلفات الكثيرة فى الزمن اليسير .

وقف من ذلك كله موقف القبول والرضا فالعقل لا يجيل •

سئل أبو يزيد البسطامى — رضى الله عنه — عن طى الأرض ، فقال ليس بشىء ، فان ابليس يقطع من المشرق الى المغرب فى لحظة واحدة وما هو عند الله بمكان !!

يقول الامام القشيرى : « القول بظهور الكرامات على الأولياء واجب ، وعليه جمهور أهل المعرفة ، وللكثرة التى تواترت أخبارها صار العلم بها ، وظهورها ، على الأولياء علما قويا ، انتفى عنه الشكوك ••

وقال الامام النووى فى « بستان العارفين » : اعلم أن مذهب أهل الحق ، اثبات كرامات الاولياء ، وانها واقعة موجودة ، مستمرة فى الاعصار ، ويدل عليها دلائل العقول ، وصرائح النقول ، أما دلائل العقل ، فهى أمر ، ممكن حدوثه ، ولا يؤدى وقوعه الى رفع أصل من أصول الدين ، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه ، وما كان مقدورا كان جائز الوقوع ، وأما النقول فآيات فى القرآن العظيم ، وأحاديث مستفيضة » •

ونقرأ فى العقائد النسفية للعلامة نجم الدين النسفى وشرحها « وكرامات الأولياء حق ، والدليل على حقية الكرامة ، ما تواتر عن كثير من الصحابة ، ومن بعدهم ، بحيث لا يمكن انكاره ، والكتاب ناطق بظهورها من مريم ، ومن صاحب سليمان عليه السلام ، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة الى اثبات الجواز ••

أجل : مادامت الكرامة قد وقعت فدعوى المنكر مرفوضة •• اذ الوقوع أقوى الادلة عند أهل الانصاف ••

وقد ذكر النسفى من أنواعها قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة ، كالاتيان بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ، وظهور الطعام والشراب عند الحاجة اليهما كما فى حق مريم عليها السلام ، وكذلك المشى على الماء ، وفى الهواء وكلام الجماد كما روى باسناد صحيح أنه كان بين يدى سلمان الفارسى ، وأبى الدرداء رضى الله عنهما ، قصعة فسبحت، وسمعا تسبيحها •

هذا : واعلم أن كل كرامة لولى ناشئة عن صدقه ، فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ لو لم يكن صادقا ، لما أجرى الله الكرامة على يديه ، ومن هنا لا يفضل الأولياء بكثرة كراماتهم على الأنبياء ، من حيث ان كرامات الأولياء فى الامة المحمدية ، من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم ، ودليل صدقه ، والنبوة تبدأ من حيث تنتهى الولاية هذا قول أهل الحق ، وقد انعقد الاجماع على ان درجة الأولياء ، لا تبلغ درجة الأنبياء •

سئل أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه ، عن درجة الولى والنبى فأجاب مثل ما حصل للأولياء ، كمثل ظرف فيه عسل ، ترشح منه قطرة، فتلك القطرة ، مثل ما لجميع الأولياء ، وما فى الظرف ، مثل مالنبينا محمد صلى الله عليه وسلم •

واليك بعض ما صح من كرامات الصحابة والتابعين وصلحاء أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والامم السابقة •

فمما يتعلق بالصحابة ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى بكر رضى الله عنه أن أضيافا كانوا فى بيته ، ولم تقدم لهم زوجة — أم عبد الرحمن — طعام العشاء ، فغضب وقدم لهم الطعام ، فأكلوا ، وأكل معهم ، وكانوا لا يرفعون لقمة الا ربا من أسفلها أكثر منها ، وأقسمت زوجه أن الطعام بعد أن أكلوا • كان أكثر منه قبل أن يأكلوا، وبعثوا منه الى النبى صلى الله عليه وسلم فتناوله رسول الله • وفى هذه الكرامة تكثير الطعام القليل اكراما للصديق رضى الله عنه •

ومن كراماته ما أخرجه الامام مالك فى الموطأ باسناد صحيح على شرط الشيخين أن أبا بكر رضى الله عنه ، استرجع عند وفاته أرضا ، كان قد وهبها لعائشة رضى الله عنها ، وقال لها تطييبا لقلبها ، انما هما أخواك وأختاك ، فقالت لأبيها : انما هى اسماء ، فمن الأخرى ، ليس لى أخت غير أسماء ، فأين الأخت الثانية ، فأجاب رضى الله عنه ، ذو بطن بنت خارجة ، يقصد زوجته ، وكانت حاملا ، أراها جارية ، قالت عائشة فولدت بعد وفاته بنتا ، وقسمت التركة على ما بين أبو بكر رضى الله عنه •

ومن كرامات الصحابة ما ورد عن عمر رضى الله عنه فى قصته مع سارية التى أشرت اليها ، فقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر » ، وروى هذا الحدث فى مسلم عن عائشة مع تغيير فى اللفظ ، والمحدث هو الملهم ، والصادق الظن ، يلقى فى روعه شىء ، من قبل الله تعالى ، فيكون مطابقا للواقع ، وهو الذى تكلمه الملائكة ، وفى هذا الحديث اثبات لكرامات الأولياء ، وكثرة الالهـام فى الأمة المحمدية ، دليل على شرفها ، ومكانتهـا عند الله ، ولئن كان فى الامم السابقة أنبياء كثيرون ، ففى الأمة المحمدية ملهمون كثيرون .

ومن كرامات الصحابة ما أخرجه الشيخان عن جـابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهتز عرش الرحمن لموت سعد ابن معاذ ، وقد ثبت هذا الحديث عن أكثر من عشرة من الصحابة ، والمعنى استبشر العرش ، وسر بمقدمه ، واهتزاز الشىء ، تغيير حاله ، الى ما هو أحسن ، لما طرأ عليه ، قال تعالى فى شأن الأرض : « فاذا أنزلنا عليها المـاء اهتزت وربت » . وقد يراد اهتزاز حملة العـرش ويؤيده ما أخرجه الحاكم أن جبريل قال : من هذا الميت ؟ الذى فتحت لـه أبواب السماء ؟ واستبشر به أهلها ؟ .

ومن كراماتهم رضى الله عنهم — ما أخرجه مسلم فى صحيحه ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن أسيد بن حضـير ، رضى الله عنه ، بينما هو ليلة يقرأ فى مربده ، اذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثم جالت أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضا ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى — ابنه — فقمت اليها ، فاذا هو مثل الظلة ، فوق رأسى ، فيها أمثال السرج عرجت فى الجو ، حتى ما أراها ، فغدوت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : بينما أنا البـارحة من جوف الليل ، أقرأ فى مربد لى ، اذ جالت فرسى ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا ابن حضير ، قال فقرأت ، ثم جـالت فرسى ، أيضا ، فقال اقرأ يا ابن حضير ، قال فقرأت ، ثم جالت أيضا ، فقال اقرأ يا ابن حضير ، قال : فانصرفت ، وكان يحيى قريبـا منهـا ، فخشيت أن تطأه ، فرأيت مثل تلك الظلة ، فيها أمثال السرج ، عرجت

فى الجو ، حتى ما أراها ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم تلك الملائكة كانت تتسمع لك ، ولو قرأت لأصبحت تراهـا النـاس ، ما تستتر منهم » .

وصرح البخارى أنه كان يقرأ سورة البقرة ، وروى أنه كان حسن الصوت ، وفى الحديث دلالة ظاهرة ، على وقوع الكرامات بينها ووضحها الصادق المصدوق ، وأن تلك الظلة ، هم الملائكة يسمعون قراءة أسيد ، وأنعم بها من كرامة .

وروى البخارى فى التاريخ بسنده ، عن محمد بن حمزة الأسلمى ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء ، شديدة الظلام فأضاءت أصابعى ، حتى جمعوا عليها ظهرهم ، وما هلك منهم ، وان أصابعى لتنير ...

وقد نص البخارى على قصة خبيب الصحابى الانصارى ، وقد أسره بنو لحيان ، واثنين معه ، وكبلوه بالحديد ، وقد وقع له من الكرامات ، ما شهد به الأعداء ، منها أنه كان يأكل من قطف عنب فى يده ، وما بمكة من ثمر ، وأقروا أنه رزق من الله ، جاء به الى خبيب ، وكان مع خبيب عاصم بن ثابت ، الذى أرسل الله له ظلة مثل الدبر فحمته ، فلم يقدر العدو ، على النيل منه ، وقد أرادوا تقطيع جسمه ، وفصل رأسـه ، ولذا قال عمر رضى الله عنه : — يحفظ الله العبد المؤمن ، بعد وفاته ، كما حفظه فى حياته » . ذلك أن عاصما ، قاتل يوم بدر ، وقال : اللهم انى أحمى لك اليوم دينك ، فاحم لى لحمى .. وفى هذا الحديث تكريم للأولياء أحياء وأمواتا ، واستجابة دعائهم ، ووجود العنب فى غير زمنـه ...

وان أردت المزيد : فاعلم أن عامر بن فهيرة التميمى الذى كان مولى لأبى بكر رضى الله عنه ، وكان من السابقين للاسلام ، ومن الذين عذبوا فى الله ، وكان مهاجرا بصحبة النبى وأبى بـكر الى المدينـة ، واستشهد ببئر معونة ، ولما استشهد أجهدوا أنفسهم فى البحث عنه ، فلم يجدوه ، روى البخارى فى صحيحه أنه رفع الى السماء بعد قتله ، وروى ابن المبارك وعبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة

قال : ان الملائكة دفنته أو رفعته ، ولا غرابة فقد كرمه الله بعد وفاته، بأن كلف الملائكة بدفنه أو رفعه جزاء ما لاقى فى سبيل الله .

وفى شأن جعفر بن أبى طالب ، أخرج الطبرانى باسناد حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا ، وأسماء بنت عميس قريبة منه اذ رد الرسول السلام ، ثم قال يا أسماء : هذا جعفر بن أبى طالب مع جبريل وميكائيل صلى الله عليهما ، مروا فسلموا علينا ، فرددت عليهم السلام ، وأخبرنى جعفر أنه لقى المشركين ، وقال : فأصبت فى جسدى ثلاثا وسبعين بين طعنة وضربة ، ثم أخذت اللواء بيدى اليمنى ، فقطعت ، ثم أخذته باليسار فقطعت ، فعوضنى الله من يدى ، جناحين أطير بهما ، مع جبريل وميكائيل فى الجنة ، أنزل بهما حيث شئت ، وآكل من ثمارها حيث شئت ، ومن هنا سمى جعفر الطيار ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن جعفر: هنيئا لك ، أبوك يطير مع الملائكة فى السماء .

واذا كان جعفر بن أبى طالب يطير مع الملائكة ، فان عبد الله والد جابر الصحابى الجليل رضى الله عنهما ، قد بقيت جثته لم تتغير — تكريما لها وحفظا ، وذلك بعد وفاته بأكثر من أربعين عاما .. فقد أخرج البخارى فى صحيحه ، أن والد جابر استشهد يوم أحد ، ودفن مع آخر ، فأراد جابر أن ينقله من قبره بعد ستة أشهر ، فاذا هو كيوم وضعه ، غير اصابة فى أذنه ، من آثر المعركة ، وقد تعددت القصة ، فقد ذكر مالك فى الموطأ ، أن عبد الله بن عمرو ، والد جابر ، دفن مع عمرو بن الجموح الأنصاريين فى قبر واحد ، وقد أثر السيل فى قبرهما ، فحفر عنهما ، ليغيرا ، فوجدا كأنهما ماتا بالامس ، وذلك بعد ست وأربعين سنة من وفاتهما .

كما ثبت أن الفأس أصابت قدم حمزة رضى الله عنه ، بعد استشهاده ، بأربعين سنة .

هذا بعض ما روى من كرامات الصحابة ، ومما روى عن الامم السابقة ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما من قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار ، فسدت صخرة الباب عليهم ، فدعا كل منهم ربه بصالح عمله ، فانفرجت الصخرة عنهم ، فخرجوا آمنين .

وملحق بما حدث للأمم السابقة الذين تكلموا فى المهد ، والحديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى عنه ومنهم صاحب جريج العابد ، وصاحب الاخدود ، وشاهد يوسف عليه السلام .

كما يلحق به ما أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا فى سحابة اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه فى حرة[1] ، فاذا شرجة[2] من تلك الشراج ، قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فى حديقته ، يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان : للاسم الذى سمع فى السحابة ، فقال له يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ، فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه ، يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها ؟

قال : أما اذ قلت هذا ، فانى أنظر الى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيه ثلثه » اه .

وفى الحديث اثبات للكرامات ، بما لا يدع مجالا للشك أو الانكار ، ومنكر ذلك مكابر .

وقد صح عن التابعين ، ومن بعدهم من صالحى الأمة كرامات كثيرة، منها ما أخرجه عبد الرزاق ، أن مطرف بن عبد الله ، كان طرف سوطه يسبح الله .

وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، أن مطرفا كان اذا دخل بيته سبحت معه آنية بيته ، وقد كان مجاب الدعوة ، وكراماته كثيرة ، تجدها فى طبقات ابن سعد وكتاب الزهد للامام أحمد ، وزوائده لابنه عبد الله ، وقد ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى فى شمائل الزهاد أن أيوب السختيانى ، كان فى طريق مكة ، فعطش من كان معه ، وخافوا على أنفسهم من العطش ، فقال لهم أيوب

(١) الحرة بفتح الحاء : أرض ذات حجارة سود .
(٢) الشرجة بفتح الشين وسكون الراء : مكان اجتماع الماء .

تكتمون عنى ؟ قالوا نعم . فرسم دائـرة على الأرض ، ودعا الله ، فنبع الماء ، وشربوا ، وشربت الابل ، ثم أعاد الموضع كما كان . وروى هذا الحادث من عدة طرق .

ونص الحافظ السخاوى فى « القول البديع ، أن الحافظ أبو بكر من المقرى والطبرانى وأبو الشيخ ، كانوا فى مدينــة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا فى حالة شديدة من الجوع ، واذا بعلوى قادم ، معه غلامان ، يحملان طعاما كثيرا ، وقال العلوى : شكوتم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فانى رأيته فأمرنى بحمل شىء اليكم .

واذا قرأت عن والد جابر ، وحمزة من بقاء جسديهما مع وفاتهما . فقد صح مثله لكثير من صالحى الأمة فلم تبل أجسادهم . اقرأ فى الفصل السادس من الحجج البينات فى اثبات الكرامات . للعالم المحدث الحافظ الشيخ عبدالله محمد الصديق الغمارى نقلا عن الحافظين رجب أنه فى زمن عمر بن عبد العزيز عثر على قدم عمر بن الخطاب ، وعلى جسـد طلحة بن عبيـد الله ، واسحاق بن أبى بنانه ، الذى كان يؤذن ستين سنة ، بدون أجر . عثر على جسده بعد ثلاثين عاما من وفاته .

وروى أن الشـيخ محمد بن سليمان الجـزولى ، صـاحب دلائل الخيرات ، نقل جسـده بعد موته ، بسبع وسبعين سنة . لم يتغـير منه شىء ، ونقلت صحف أسبانيا منذ نحو عشرين سنة ، أن الحـكومة الاسبانية ، عثرت على أجساد قوم من المسلمين ، بلحاهم بعد موتهم ، بأكثر من ثلاثمائة سنة .

ولا غرابة فذلك اكرام لهم بعد موتهم ، كما كرمهم الله فى حياتهم بتوفيقهم لطاعته ، ولا غرابة ولا انكار فيما ثبت عن الأولياء من تبدلهم وظهورهم بصور مختلفـة وفى أمكنة مختلفة ذلك أن النفوس الطاهرة، حينمـا تتحقق بالاسـم الجامع ، تظهـر فى صور كثيرة ، فالمـلائكة يظهرون ، فى آلاف الأمـاكن ، فى وقت واحـد ، كجبريل وميكائيـل وعزرائيل .

وقد ثبت عن قضيب البان الموصلى ، أنه كان يرى فى مجالس متعددة وكذلك حبيب العجمى ، وسهيل بن عبد الله ، ولذا سمـوا بالأبدال ، لأنهم يظهرون فى أماكن مختلفة ، وجسدهم الاصـلى ثابت فى مكانـه الأول .

واذا كان الجن يتشكلون بالأشكال المختلفة ، فهل يعـز ذلك على أوليـاء الله وأحبابه ؟

وقد ثبت أن الجنة صورت لرسول الله صلى الله عليه وسـلم من خلف أحد وتمثل جبريل لمريم ، « فتمثل لها بشرا سويا » .

وقد أفتى الشيخ جلال الدين السـيوطى ، أن من حلف على وجود شخص فى أكثر من مكان ، فى وقت واحد ، فانه لا يحنث . وعلى ذلك بأنه من باب تعدد الصور ، بالتمثل ، أو من باب طى المسافة ، كما رفع بيت المقدس ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفه لقريش ، صبيحة الاسراء ، أو من باب عظمة شخصية الولى .

اذا عرفت ذلك فاعلم أنه لا يحق لبشر انكار رؤية سـيد العـالمين صلى الله عليه وسلم يقظة ، حيث قال رسول الله فيما رواه البخـارى ومسلم « من رآنى فى المنام ، فسيرانى فى اليقظة » . أى قبل موته، وتلك من باب كرامة الأولياء ، ومن باب ادراك المثال .

قال حجة الاسلام الغزالى فى « المنقذ من الضلال » . عن الأولياء، ان جميع حركاتهم وسكناتهم ، فى ظواهرهم وبواطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، الى أن قال : « حتى انهم فى يقظتهم يشـاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال ، من مشـاهد الصور والأمثال ، الى درجات يضيق عنها ، نطاق النطق » .

وقد نقل سراج الدين بن الملقن أن الشيخ عبد القادر الكيلانى كان يرى سيد العالمين يقظة ، وكذلك كان يرى عليا ، وأن الشيخ خليفـة ابن موسى ، كان كثير الـرؤية لرسـول الله صلى الله عليـه وسلم يقظة ، ومناما .

وكان سيدى أبو العباس المرسى اذا سلم على رسول الله رد عليه السلام ، وكان سيدى عبد العزيز الدباغ يرى سيد العـالمين كثيرا ، ويسأله عما أشكل عليه ، تقرأ ذلك فى كتاب « الابريـز » . ومن أراد المزيد فليقرأ « سعادة الدارين » للعلامة الشيخ يوسف النبهـانى .

وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد والهدى هدى الله .

راجع هذا الكتاب وحققه الدكتور عبد الباسط ابراهيم بلبول

— ترجمة الشيخ رضى الله عنه —

هو القطب الأوحد والغوث الأمجد ، وحيد الدهر وفريد العصر شيخ العارفين وامام الصالحين ، واستاذ أرباب الأحوال والواجدين سيدى « أحمد بن محمد بن أحمد بن رضوان » الحسنى نسبا ، المحمدى مذهبا ، البغدادى بلدا ، الأقصرى اقليما السلمى أهلا .

ذكر لى رضى الله عنه أن نسبه يتصل بسيدى عبد القادر الجيلانى وكان أجداده يسكنون العراق ثم هاجروا الى وادى العرب جنوبى اسوان ومن هذا الوادى رحل جده رضوان مع شقيقه سلطان حيث أقاما فى السلمية وتزوجا بها وكانت اقامتهما رحمة الله لأهل هذا الاقليم خاصة وللصعيد عامة فعظم قدرهما وانتشر فضلهما وعمت دعوتهما وتمت بركتهما ، وارتحل الناس اليهما من النواحى والأمصار ، وتخرج عليهما الفقهاء والأفاضل الأخيار ولأمر ما سكن جده أحمد محمد رضوان قرية البغدادى برؤيا واذن من النبى صلى الله عليه وسلم وعاشت بها هذه الأسرة الطاهرة حتى ولد شيخنا رضى الله عنه سنة ١٣١٦ هجرية فنشأ بين والد ورع محقق عابد ، وعم عالم مجذوب متجرد زاهد ، حفظ القرآن الكريم فى طفولته بمكتب القرية ثم حبب الله اليه الخلاء والاقامة بين أودية الجبال صيف شتاء ، طعامه ذكر ، ونومه فكر ، عرف قيمة الحياة الدنيا فلم ير عيشا ولا لباسا أجمل ولا أهنأ ولا ألذ من معرفة الله تعالى ..

مجانين فى البيداء صرعى من الهوى
وليس لهم الا الوصال طبيب
هم القوم لا يدرون أين توجهوا
وليس لهم الا الحبيب حبيب

ولقد روى لى سيادته رضى الله عنه أنه عاش على هذا النهج فى الصحراء زمنا طويلا ، وأنه كان اذا ذكر الله تعالى سمع لا اله الا الله من الحصى والنبات والتراب والماء حتى أنه طلب التبول مرة فلم يجد مكانا خاليا من تسبيح الخالق جل وعلا ، فأخذ يتوسل بالنبى صلى الله

عليه وسلم ويستغيث حتى من الله عليه بسكون هذه الجمادات ، وقال رضى الله عنه : ان الوحوش كانت تستأنس به فاذا شد بعضها توسل قائلا :

ومن تكن برسول الله نصرته
ان تلقه الأسد فى آجامها تجم

فاذا آسادها وضباعها تجرى هاربة لغير رجعة .

ثم عاود رضى الله عنه الى القرية ليدرس الفقه والتوحيد بلذة روحانية عظيمة وبتذوق ويغترف الأسرار الربانية .

ولقد صحبته رضى الله عنه عشرين سنة فما عرفت كتابا فى تصوف أوفقه أو توحيد الا وغاص فى بحر بواطنه وتيار ظواهره ولا شىء الا الكرامات والتفسير والعلوم والبلاغة وحسن التعبير « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

— صفة الشيخ رضى الله عنه —

كان رضى الله عنه آدم اللون ليس بالطويل ولا بالقصير رحب الصدر ، معتدل الخلق ، متناسب الأعضاء موصوفا بالسمن وبسطة البدن .

وخلع ثيابه مرة ليهون على نفسه من شدة التجليات الالهية والأنوار التى منحها الله لطاقته البشرية فنظر الى وقال : يا أخى : أن ظهور الحق يذيب الجسم ويفنيه ، ولا قدرة للبشرية على تجليه ، وسترى هذا الجسم لا لحم فيه . ولو الألطاف الالهية لطاش العقل وانقطع النسل ، وغاب العشاق عن رؤية الليل والنهار وتاهوا فى البرارى والقفار ، ثم قرأ قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

ولقد صدق رضى الله عنه اذ لم يبق من جسمه الا هيكل خفيف ومظهر لطيف لا حول للبدن ولا قوة وانما تفويض وتوكل وتعلق بالذات العلية ..

أما جبهته رضى الله عنه فكانت تتلألأ بأنوار واضحات ولا ينكرها الا من أعمته ظلمة الغفلات وأسرته الشهوات .

لو أن ابليس رأى من آدم   نور محياها عليه ما أبى

وقانا الله شر الحسد والغفلة ، وبصرنا بأمورنا فى كل لمحة حتى نرى الله سبحانه وتعالى فى كل شىء وذرة ، ونرى أولياءه بعين قوله تعالى « نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » وأفاض علينا من أنواره وكسانا بحلل أسراره آمين ..

— أولاده رضى الله عنه —

لشيخنا رضى الله عنه أربعة أولاد

أولهم وأكبرهم : العارف بالله

« الحاج محمد أحمد رضوان »

وهو الذى كان يصفه والده بالأسد لما عرفه فيه من شجاعة وعزم وبذل وايثار ولا أعدو الحق اذ قلت : انه مرآة صافية للذين صفت نفوسهم وطهرت قلوبهم ، ومنبع لمن أراد الارتواء من منهله الفياض العذب وشعاع تنكشف به الحقائق وتنجلى به البصيرة وذوق يهدى الى الفضيلة والتوحيد .

ولا غرو فهو صاحب المؤلفات النادرة التى أزالت عن التصوف الوان الخيالات وأضفت عليه لطائف الرحمات ، وبالجملة فمن طالع كتبه عرف أنها مما يهفو لها سمع الزمان ، وانها تبعث فى الناس الثقة والايمان ، وأن صاحبها تكلم فأبدع ، ودافع فأقنع ولقد قيل :

أسديت للعرفان أعظم سنة   ومنحته فيضا من الاغداق
وغدا رحيق العلم عذبا سائغا   للشاربين وأنت أنت الساقى

ولذا أرجو كل عالم ومتعلم أن يستمتع بمقالاته التى تجلو مرآة القلوب وتؤكد أنها من عطايا علام الغيوب ، ومن سعد بأقواله فى صفات العارفين . علم أنه خلق من معدن العلم والذوق والمعرفة والولاية والامتياز .

قال رضى الله عنه : العارف ان منع منع عنه ، وان استعجل مقت وان أنكر على غيره حرم ، وان ادعى ما ليس فيه سقط من عين الله لا يسرع فى الحكم ، ولا يستعجل فى النطق ، لا يشتهى الكلام ولا يمنع الفيض ، ولا يرى لنفسه فضلا ، و لاينكر الفضل فى غيره ، حسن الظن حسن العشرة ، طيب النفس عفيف اللسان ، قليل الكلام ، قليل

الصحبة ، فاقد الخليل عبد لربه ، أمره اليه ، حكمه عنده ، طلبه منه ، سؤاله له تفويضه لخالقه ، لا يمنع الخير ، لا يرى الشر ولا يرى فيه يرى فى الخير ، ويرى فى البر ، ويرى فى الاحسان ، وهو فى غير ذلك مفقود يعمل لما أهل له ، قانت لربه خائف منه ، حيى من جلاله ، يستحى من الرسول صلى الله عليه وسلم ، يستمسك بالشرع ، ويقول الحق ، وينطق بالصدق ، يصاحب فى الله ، ويفارق فى الله ، يحب لله ويبغض لله . يقول مما يعلم ، ولا يتكبر ولا يتجبر ولا يسخط ولا يلعب ، ولا يسخر ، لا تراه سبابا ، ولا لعانا ولا متكبرا ولا مستكبرا صفات الجلال فيه ، يفيض الحق من فيه يرهب الجلال ويعشق الجمال ويترك ذميم الفعال وقبيح الأقوال يقتدى بالرسول ، عمله مقبول يهتدى بالصحابة ، لاينكر فضلا على أهل الفضل ، ولا يرى لنفسه فضلا على أحد ، يوجز الكلام ، حسن الصمت ، يحفظ اللسان ، جميل الخلق ، مؤمن بالله ، مستغفر أواه ، الهدى فيه ظاهر والنور فى قلبه جلى ، يخاف العلى وهو من الرسول حيى ، يرى الفضل والفضيلة ، ينأى بنفسه عن الذميمة والرذيلة ، ملهم من ربه مفاض عليه منه ، مكرم من خالقه رضى به قائم الليل ، حافظ اللسان ، سيطر على جوارحه ، يشتهى عبادة ربه وهى فيه .

فمن لم تكن هذه أقل أوصافه لم يكن عارفا بالله وحسبنا لهذا الوصف الذى لا يتيسر الا بمدد الله لأحباب الله ، ولذا وهب نفسه للكشف عما فى الاسلام من سمو وجمال حتى يبطل زيف المخادعين وتتجلى الحقيقة ناصعة أمام من يبتغى أن يحقق انسانيته ، ويأخذ من طريقه الى الله ليسعد بمعرفته وينعم برضاه .

* * *

والثانى : هو من تجلى عليه بالبسط فى جميع الأحوال الموفق فى الأقوال والأفعال ، من لازم ساحة الكرام فوسع الناس على اختلاف درجاتهم ببسيط الوجه وحسن الخلق .

الشيخ صالح أحمد رضوان

صاحب الحنان الزائد والمجد التالد والأذواق النقية والأخلاق المرضية الذى كساه الله ثياب المسرة والابتهاج وهيأ فى يديه للناس

خير علاج ، ولذا جعل الله فى قلوب أحباب والده أسسا لن تهدم ، ومحبة لا تفصم الا أنها المحبة الطبيعية التى أوجدها الرحمن الرحيم وما أجمل ما قيل :

من قديم الزمان عز أصولا   ومضى بالفخار فى الناس فردا
ومع الناس بالسماح وأضفى   من نداه على المساكين بردا

* * *

والنجل الثالث هو « السيد زين العابدين أحمد رضوان » وهو الذى لم يأخذ العلم فى صغره من الكتب لأن آداب القلوب متعذرة بدون مؤدب وآفات النفوس أخفى من دبيب النمل وكفاه شرفا أن تعهده والده من صغره حتى جعله مجموعة الفضائل .

فلم يترك فى قلبه فراغا للشهوات والرذائل ووصله الى الله تعالى بروحه وبدنه فصار مفتاحا للهدى مغلاقا للردى ونظرة اليه تذكرنا بقول القائل :

« ان المرء اذا آتاه الله جمالا فى خلقه وأصالة فى حبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله وواسى من حاله وتواضع فى حسبه ، كتب فى ديوان الله من خالص أوليائه » .

أما الابن الرابع فهو :

عبد الله أحمد رضوان

صحيفة ساطعة وأنوار لامعة وطبائع موروثة وأمجاد مغروسة نشأ بذرة ثابتة فى ساحة خصبة غذاؤها حب الله والرسول وزهرة زكية متفتحة بنسيم العناية والوصول ، ولا عجب فقد أخبرنا شيخنا رضى الله عنه بأنه ابن العناية والقبول .

أسأل الله أن يعينهم على ما أقامهم فيه ، وأن يديم اغتنامهم لما يرضيه ويخصهم بأروع الاخلاص ويجعلنا ببركتهم من عباده الخواص . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولى القرب والاختصاص .

صلتى بالشيخ رضى الله عنه والاطوار التى شـــاهدتها

نشأت فى بدء أمرى محبا للصالحين ، تواقا للصلة بالعلماء والعارفين، وكنت أقرأ فى بعض كتب القوم القول المشهور « من لا شيخ له فشيخه الشيطان » فى الوقت الذى اسمع فيه من بعضهم « شروط الشـــيخ علم صحيح ، وذوق صريح وهمة عليه وحالة مرضية » .

وقد مكثت زمنا طويلا أبحث عن عالم جـــامع بين الحقيقـــة والشريعة تستريح له نفسى ويؤمن به قلبى ويرقى بتربيته ايمانى وتسمو بصفاء روحه روحى ويزيدنى حبا فى رسولى .

ولولا اتصال الكهرباء بأصلها على موجة التيار ، مانورها يسرى،وكنت أتمنى دائما أن اجتمع برجل استشفى بحكمته وأستنير بهديه،واستقيم بقدوته وأجد متعة لوحدته وأسلوبه فى غيبته ، وكنت أتلمس أخبـــارهم وأتخيل صورهم وقصصهم ، وأذكر محاسنهم وأراجع أخبارهم ومن أجل ذلك اتصلت بالكثير منهم مع تحسين الظن ، حريصا على القيام بشرائع الله والسنن.ولكن بعد استخارة الله تعالى أجد عزيمتى قاصرة عن تنفيذ الرغبة مستثقلة كثيرا من العبادات البعيدة عن الحق والتى حذرنا منها سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فعلمت أن الأستاذ لا يتأتى ارشـــاده النافع الا باستعداد فطرى فيه وبعناية الهية تواتيه :

اذا رضى الرحمن عن قلب عبـــده   جرت مركب الأقدار معه على اليبس

وكان من رضى الله على أن جمعنى ببعض الأحبة الذين لازلت مدينا لهم ، معترفا بفضلهم ، فأجرى الله على ألسنتهم ذكر الشيخ مترجمين عن بعض المعانى التى لمسوها والحقائق التى درسوها فاستعنت بمن يقول فى الأمور الا عليه وشكرته جل وعلا شكر من تحقـــق أن خيرى الدنيا والآخرة بيديه وسعيت الى البغدادى وبها وجدت شمس ودادى اذ اجتمعت بصاحب الأسرار الربانية والعبارات السنية ، والأنـــوار المحمدية صلى الله عليه وسلم فاستقبلنى رضى الله عنه بقوله :

« جئتنا محبا وقد سبقت محبتنا لك » وتحدثنا كثيرا فى أول لقـــاء ، وقد يتنزل معلم القرآن الى مراتب الصبيان وتكلم رضى الله عنـــه فى كرامات بعض العارفين وتصوفهم وفى التوبة والورع ، وأخذ يفسر قول النبى صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خشية حتى ذكر معانى تتلخص فى قول بعض العارفين : وهى من عرف خاف ومن خاف تاب ومن تاب أناب ومن أناب تورع ومن تورع تزهد ، ومن تزهد توكل ومن توكل صبر ومن صبر رضى ومن رضى شكر ومن شكر رق ومن رق أحب ومن أحب قرب ، ومن قرب استهلك ومن استهلك فنى، ومن فنى محى ، ومن محى أثبت ومن أثبت رجع ومن رجع من عند الله أخبر عن الله بالله فيه يرى وبه يسمع ، به ينطق وبه يقوم ، وبه يقعد وبعد لقاءات متكررة بالأقصر شاء الله تعالى أن يمنـــح الدار التى يسكن بها مجدا وفخرا وعزا وذكرا وخيرا وفضلا ، وأصبح هذا الركن الصغير يباهى نجوم الأفق مبناه ويسطع النور من ثناياه حتى غدا مدرسة جلت مفاخرها وعزت نظائرها ، يأوى اليها الحاضر والبادى ويفد اليها الناس بالجوارح والفـــؤاد وسارت على هذا النهج عشرين عاما ربح فيها المحب واستقام .

أما تطوراته رضى الله عنه التى شاهدتها فأستطيع أن أقسمها الى أطوار هى :

١ — الطـــور الاول

صحو واصطلام ، وتجريد وهيام ، وقطع للاسباب ، وخلع للثياب ورفض الكونين ، ورفع للكيف والأين ، ولقد تغلبت عليه هيبـــة العظمة فكان يستيقظ من نومه متغير اللون ، وبعد لحظة يقول لى : كنت أعتقد أن القيامة قد قامت . وكنت أعرف من فضيلته أحوالا جلية لا تنال بغير النفحات الالهيـــة .

فكان لا يستريح الا اذا خلع ثيابه وقضى ساعات طويلة باللباس : وهى حالة لا تدركها العقول بالقياس ، يستوى فى ذلك الصيف والشتاء وربما وضع على جسمه أقداحا من الماء وصدق القائل :

« انها معان تحار فى وصفها الافكار ويصغر منها الكبار ، ويكبر فيها الصغار .. انها الاشواق والأتواق والاحراق واللهف والأسف والشغف والحزن والأنين والوجد والفرق والاصطلام ، والفناء والسكر والمحو والصحو والبقاء والتحول والذبول والأرق والقلق والسهر والوحدة والانفراد والعزلة والانقياد.والبهتة والدهشة والحيرة والغيبةوالسكون والحركة والسلم والحرب والصمه والنمه والشفاء والسقام ، والهيام والبلاء والبكاء ، والخضوع والخشوع والدموع ، والنيران والأشجان، والبوح والنوح ، والكتمان والسر والاعلان والموت والغوث والحياة والنشور والبعث والفوق والشهود والخمود والعهود ، والاطراح والسحق والجمع والفرق .

كل ذلك صفات المحبة التى يتجلى عليها المحبوب حتى يفنيها فلا يرى صاحبها فى كل شىء الاعلام الغيوب .

وحقك لا نظرت الى سواكا بعين مسرة حتى أراكا

ولا مراء فى أن استاذنا رضى الله عنه كان عنوانا لكل من قرأنا عنهم صورة هذا المقال فمن لاح له بارقة من صفات المحبة لا يحجبه غير ما لمح من ذلك الجمال .

وسمعته رضى الله عنه مرة يحدث نفسه ويقول . رأى بعض المفسرين : ان زليخا لما جرحت ونزل دمها على الأرض كتب يوسف فلما ذهب اليها عليه السلام بعد أن تزوجها ووحدت وثبت حب الله فى قلبها قالت اليك عنى فقد شغلنى حب الله عنك .

وذكر سيدى عبد الغفار بن نوح فى كتابه « الوحيد » أن صورة يوسف عليه السلام فى بادىء الأمر ظهرت فى مرآة قلبها فسترت الأشياء وأسماءها فسمت كل شىء يوسف حتى كانت تسمى الماء يوسف والخبز يوسف ومقام حب الله تعالى أجل وأعظم من مقام حبها ليوسف عليه السلام .

على مثل بعدك لا أصبر ومن ذا يحبك لا يعذر

وكان رضى الله عنه اذا شغله انسان اثناء وجده وحيرته يقول : ارحمنى وابعد عنى أنا فى غنى عنك وعن كلامك وعن جبريل وعن جميع

الخلق حتى اذا هدأ الحال وتجلى عليه الله بالجمال قال : لو شغلنى جبريل عن ربى لكنت من الخاسرين الم يستر نبى الله ورسوله ابراهيم عليه السلام سره وأمانته عن جبريل حين قال له :

ألك حاجة ؟ فقال : أما اليك فلا .

وكان رضى الله عنه فى هذا الطور محلا لموارد الارادة مفاضا عليه ألوانا من سحائب الجود والسعادة .

ولقد استمر شيخنا رضى الله عنه على هذا المنوال أربع سنوات أو يزيد كلها الهامات وكرامات ويقظة وتوحيد ، وفى هذ المقام يقول الخواص : « علاقة صاحب هذا الحال وفور العلم وحضور العقل ودوام المشاهدة ولا يعرف صاحبه النوم ولا يقبله الا فى النادر تمجه العقول من حيث أفكارها ولا تقبله الا بالايمان فقط » .

وكان بعض العلماء ينتهزون الفرص فيحضرون الى شيخنا رضى الله عنه ليسألوه عن أحكام فى الفقه والتوحيد فيخرجون وقد حصل لهم الخير الكثير ، وربما قصده جمع من المفكرين فحدثهم عن نياتهم وعما يجول بخواطرهم فيستغفرون الله تعالى قائلين : لا شريك له فى ملكه، ولا منازع له فى عطائه ، وسمعت بعضهم يعتذر ويقول : كنا بمثابة من ترك الجواهر واليواقيت ، وكانت أحواله رضى الله عنه فى هذه الفترة لا تسير على نظام واحد فتارة يتقاياً من بعض الناس وتارة يناجى ربه : أنتم سرورى وأنتم مشتكى ألمى ، واذا زاد عليه الوجد قضى زمنا طويلا بين جلوس ووقوف .

ولقد ركب مرة نخلة فاذا به يرمى نفسه من فوقها فحملته جريدة واحدة من نخلة أدنى منها ، وقال لى مرة : لا تعجب فان البنزين يحمل الطائرة الكبيرة ، وروح أحبابه أكبر وأقوى من ذلك ثم حكى ما ذكره صاحب كتاب وفاء الوفاء وغيره وهو أن قنديلا بالقبة الشريفة سمع الذكر فسقط على الأرض معتدلا ولم ينكسر .

طربت لحسن حديثك الألحان
وتمايلت طربا له الحيطان
وترنم السقف المخيم فوقها
وبدا له عما به الكتمان

وكان رضى الله عنه فى كل هذه الأحوال يبكى بصورة لا يتحملها الا أهل الأدب فنراه شاخصا بالحق الى الحق يتقلب فى مقامات الحيرة فهذا يبديه ، وهذا يفنيه ، وذلك ينشره وآخر يوجده ، فهو زائل عن نعوت البشرية ، قائم بصفات العبودية لا يحس بالأغيار ولا يشهد غير عظمة العزيز الجبار .

وكان يقول لى : اذا وجدتنى على هذه الحال لا أتحرك فاتركنى وحالى ولا تحكم بوفاتى ودعنى وسكراتى .

نسيت فى الحب روحى وغاب عنى صلاتى
وكان فى الحب موتى أيضا وفيه حياتى

الطور الثانى

هذا موجز يسير وقليل من كثير ، بالنسبة للطور الأول .

فكانت بدايته حديث سيادته فجأة بالسريانى[1] وقد ذكر القوم فى كتبهم أن اللغة السريانية ينطق بها الغوث والأقطاب السبعة دون تكلف أو تعلم،فاذا جن الليل اعتبر فضيلته الحجرة خلوة للأنس بربه،فأسمعه ينادى أقواما فى جميع أقطار العالم ، سألته رضى الله عنه عن أسماء بعض من يناديهم فأخبرنى بأن فيهم أولياء بمسجد الحضرة المحمدية وبعضهم فى جبل أحد ، وآخرون من الأحبة المجاورين لسيدى عبد الرحيم البرعى ، وربما ذكر لى أشياء وأمرنى بكتمانها وكنت أسمع بعض الوقائع البعيدة التى ذكرها ، تذاع بعد يوم أو بعض يوم وأقرأ ذلك فى الصحف وكنت لا أعجب ان كان هذا فى الحجاز أو حضرموت أو باكستان لأنها أصبحت عادية محققة ، ايمانى بها ايمان بالغيب

---

(١) المراد باللغة السريانية . هنا ليست لغة السريان الذين يسكنون بلاد الشام وغيرها والتى تدرس لغتهم وقواعدها وآدابها بكليات الاداب ومعاهد اللغات فهذه اللغة معروفة مكشوفة . ولكن السادة اذا أطلقوا لفظ « السريانية » انما يريد (اصطلاحا) هذه اللغة التى يتحدث بها اهل الله فى حالات المنازلات الروحية فهى لغة الهية خاصة قد تتصل من قريب أو بعيد ببعض الالفاظ السريانية أو العبرية القديمة أو غيرها ولكنها ليست هى هى ولا هى مقيدة بها ولا قائمة على أساسها . ولهذا نحن نطلق عليها « لغة أهل الله » المعبر عنها بالسريانية اصطلاحا ليس الا وقد سمعت من بعض المحبين بأن مولاى الشيخ أحمد رضوان رضى الله عنه كان يسميها لغة الارواح .

على التحقيق ومن خالف ذلك حرم التوفيق ، وكثيرا ما كان يتحدث بسهولة ويسر عن أهل القبور فى أوقات متعددة ويذكر أسماءهم ويصف وجوههم وأجسامهم ويحدد وفاتهم ويخبر عن أحوالهم — وكان يقول فليبك على نفسه من يحجبه التراب عنهم فاذا أفاض فى القول ويكون ذلك عادة بعد فترة من الحديث باللغة السريانية ، ينادى ربه قائلا :

« المحجوب يعصى أمرك لأنه لا يعرف قدرك » .

ان القلب اذا طهرته من الزوائل أفاض بالقول النفيس :

اللهم انزع من قلبى كشوف الناس لى .. ثم ينظر الحاضرين قائلا : اذا رأيتم عبدا يفنى فى التوحيد فكلوه لمشيئة الله تعالى واعلموا أن قلوب بعض عبيده مملوكة ونفوسهم مفقودة .

وقد يعتريه كرب اذا شم فى أحدهم غيبة .

ويقول : ان النفس اذا تغيرت ركبها ابليس فأشار اليها بالتدليس والقول الخبيث .

أيها الناس ، احذرونى فانى مسم :

وكان رضى الله عنه يقول : ان الاسم فى اللغة العربية يوضح معنى واحدا ، أما اللغة السريانية فلكل حرف معنى : وسمعته رضى الله عنه يقول : ان أهل الديوان يتكلمون بهذه اللغة ، وسمعته واذا حضر النبى صلى الله عليه وسلم لا يتكلمون بها وانما يتكلمون باللغة العربية واعلم أن أرباب الكشف ممن يتكلمون بهذه اللغة يشاهدون صلة المخلوقات بسيد الكائنات صلى الله عليه وسلم ، وهم على يقين من أنه لولا نوره صلى الله عليه وسلم ما تفجرت عيون ولا تفتحت أزهار ولا نضجت ثمار .

الطور الثالث

فانه طور كان الجلوس فيه بين يديه رحمة ، والاجتماع به غنيمة انه طور النفحات التى تنتعش بها الأرواح ، وتهتز لها المشاعر انه طور المنهل الفياض الذى يستسقى منه الواردون ويرتشف رحيقه الموفقون المؤدبون انه طور تأسست فيه المدرسة الرضوانية باتباع

الكتاب والسنة وكأن طلابهـا يشعرون بنعم الله على أستاذهم فاذا فسر قرآنا أو حديثا خرجت المعانى الربانية فى اسلوب قوى نافذ الى القلوب ، فيسرعون الى التـوبة معترفين بالغفلة والتقصير وتعـدد الذنوب وما هو الا نبع من سعادة روحية وعناية ربانية وهبة احسانية

وربمـا قال : والله الذى لا اله غيره ما قلت لكم الا ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى رضى الله عنه :

رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنى بتفسير سورة المزمـل ، فأذنت لأستاذى وسيدى ، ومن هنا علمنى الله مالم أعلم ، وان كل ما تراه فى من تحول منطقى وعلمى واسرار ومعرفة وتوضيح انما هو من بركات الحبيب المخصوص صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول رضى الله عنه لقد أغنانى الله عن التفكير فى فقه أو تفسير فلا أقول الا ما يرد على قلبى من حجة أو حكمة أو نعمة ولقد عرف ذلك كل من لازمه رضى الله عنه ، فكانت الحقائق تنطق وتشرق وستبقى ما بقيت هذه الحيـاة .

« العـلم علمـان ، علم يعالجـه النـاس عن طـريق القـواعد والأحـوال والرسـوم ، وعلم آخـر تمتلىء به القلوب . وتتـذوق منه الأرواح » ولأجل أن تتأكد من هذا الالهام المتفجر وتوقن بأنـه فى أعلى ذروة من الايمان أكتب لك هذا الأثر الخالد ذا المعانى الفريدة: ألا وهو الكتاب الذى أرسله أستاذنا رضى الله عنـه الى سماحة فضيلة الأستاذ الوقور الشيخ محمد زكى ابراهيم رائد العشيرة المحمـدية وانه لأسرار من قلبه وآيات من وحيه ليستنهض بهـا الهمم ولتكون نورا يهتدى به الأحباب .

« من العبد المسكين الذى ليس له لـذة فى هذه الدار الا التعلق بالملك الغفار الذى ضاع عمره سـدى « أحمد رضوان » الى أخ الروح الذى من الله على بمعرفته وجمعنى به شيخى وأسـتاذى السيد / محمد زكى ابراهيم » .

أخى . ان من أراد الله تعالى بقلبه وسره وروحه وبشريته قام له وقام به لا يريد عوضا فى عبادته ولا يريد جزاء على طاعته فهو بين الخوف والرجاء والطمأنينة والقلق لا يصاحب نفسه ولا يرى لنفسـه عملا مهما كان عمله فان المنة لله والفضل له حيث وفقه لتوحيده ودله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعرفه بأهل حضرته .

أخى المحبوب .. ان العبد اذا قال : لا اله الا الله صادقا من قلبه يبغى وجه ربه ملأت القلب نورا فلا تبقى بقية لغير الله فى لبه فيعطى القلب البشرية ما يعصمها عن السوى فتصير بشريته ملكية لا تقـع منها هفوة ولا غفلة ولا زلة ولا لهو ، كل قاطع يقطعه عن ربه ، وعلامة ذلك أن يصير ما كلف به الله كلفا ، وحبا وسرورا وطربا ، لا يعرف النوم فى سحره ، ولا يطلق لسانه فى غير ما يحب مولاه ، يعد أنفاسه ويحصيها ، يستعذب البلاء منه ويراه منة عليه ويترك الراحة والبطالة لأنه صار فى المعية الـكبرى ، وعـلامة ذلك أن يأخـذ من القـرآن ما يسوقه له ربه من غير معـلم يعلمه ، ومن السـنة ما يجعله متبعا لصاحب السنة وعند ذلك تأتيه التنبيهات والبشارات فلا يقف مع عرش ولا فرش ، يكون فى الدنيا وليس هو فى الدنيا ، ويكون مع الناس وليس هو مع الناس ، يبغض الراحة أملا فى ذكر ربه ويهجر الأكوان أملا فى فكره وعبره وعلامة ذلك أنه لا يريد الشهرة ولا الصيت وليس له أذن تسمع المدح والذم ، انفـرد لله بالله وانقطع له بتوفيق الله فعند ذلك ينادى عليه فى السموات ان الله يحبه وتحبه ملائكة الله ، ويداوم على المعـرفة والخوف والمراقبة والحياء لا يفتر عن العمـل عبودية لله ، يرى القلة كثرة ، والسقم عافية ، لأنه يحب الحق ، وما يأتيه منه يراه جميلا ، كأن الآخرة بين عينيه يقصر الأمل ، ويكثر العمل ويخاف ، بكاء فى الأسحار بسام بالنهار ، هين ولـين متواضع يؤثر اخوانه على نفسه ، يوالى أهل حضرة الله ، ويبغض أعـداء الله . وينصح لله ويحب فى الله ، ويهجر لله ، ويعطى له ويمنع له سائرا بروحه الى ربه ، لا يقف مع ملك ولا ملكوت ولا مع عرش ولا جبروت يفرح بالخلوة ويكره الجلوة ويحب اخمـاد صيته الا اذا أظهره الله وعلامة ذلك أن يكون فارغ القلب مما سواه ، صحب لله على صدق ، وأحبه على وجد يسارع له فى الخيرات ، كثير الذكر ، كثير الشكر ، لا يحب النوم ولا يشتهيه ، ولا يحب أحدا لغير ربه ، تراه حتى فى

بيته ومع زوجته سائر الى الله ، اتخذ فى هذه الدار أنسه بالله وسيره لله وصمته لله وذكره لله فهو بالله قائم ، لا يصاحب نفسه ولا يرضى عنها ذليل فى عز وعزيز فى ذل ، انقطع الى الله بكله والتجأ اليه فى جهره وسره ، خرج من مراده الى مراده ، صار ليس له بقية الا الله ، ان أقعد شكر ، وان سيره ذكر هائم به ، متحسر لطول البقاء فى هذه الدار لولا الأجل المحتوم لطارت روحه الى الله ، لا يدعى مشيخة ولا يدعى سيادة وعلامة ذلك أن يجلس حيث ينتهى به المجلس، تراه بين اخوانه لا علامة لظهوره ، ليس بمتكبر ولا متجبر ، يتهم نفسه فى أعماله الصالحة ، واذا ساق أحدا الى الله ساقه لله لا بشهوة ولا ليقال انه عارف أو ولى لا يطلب كرامة ولا خرق عادة ، أفضل الأشياء عنده العبودية ، وأشهى شىء له فى الدنيا والآخرة الحق ، تأخذه العبرة فيكاد أن يذوب ، ويأخذه الشوق فيكاد أن يموت ، لا ينتصر لنفسه ، ولا يدعو على غيره ، تراه بذالا للمعروف ، لا يجمع الدنيا لغرض فيها ، ولا يستعجل أمرا أقامه الله فيه ، يتمسكن لربه فى كل أوقاته ، كثير السؤال قريب الى المؤمنين ، سهل حظه التعلق بالله وطلبه فى الآخرة النظر الى وجه الله • وانى يا سيدى أكثرت عليكم وأنتم أهل لما أقول •

أرجو يا سيدى كل من جلس بجواركم أو صاحبكم أن تعلموه وتسوقوه وتهذبوه ، وكونوا جميعا دعاة اليه ، واحذروا الدخيل فيكم، واحصوا عددكم وافرزوا جلساءكم ، والحذر ممن ينسبون الى الدين ولا يريد منه ، ويحتسبون أنفسهم مسلمين ، يريدون أن يخدعوا الناس بأقوالهم ، ثم ادعوا لى فانى متأخر عن النوم ، غشتنى نفسى وسترت على حالى وقد قرب رحيلى وتحطم جسمى فلا حول ولا قوة الا بالله ، ادعيت الصلاح وأنا لست من الصالحين وتظاهرت بسمات القوم ولست من القوم ، فلما علمت خيانة نفسى بادرت اليه به ، واعتذرت اليه به وتبت اليه قدر جهدى •

سلامى لأهل العشيرة المحمدية ، وانى أسألكم الدعوات من عرفتهم فى الله يسلمون عليكم •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
من الفقير المسكين المقصر الراجى
عبد الله أحمد رضوان — البغدادى بقنا

والى هنا نكتفى بهذا القدر لنذكر قطرة من غيث كراماته رضى الله عنه لأن كراماته كلها لن تحصى ولن يسعها سجلات عديدة ولا مراء فى أن حياته كلها كرامات وأن لياليه كما قال السيد أبو العباس المرسى: كلها قدر •

محبته رضى الله عنه لخالقه سبحانه وتعالى

الأنس بالله تعالى زاد المحبين والتجلى هو انكشاف أنواع من المعانى الربانية على أهل اليقين ، فهم على بابه لا يرون فى الوجود الا اياه ، غاب عنهم شهودهم فى مشهودهم وهو الله ولقد كان شيخنا رضى الله عنه ، ممن انمحت فيهم ظلمة البشرية فصار سمعه الله وبصره الله ، وفى الحديث الشريف (وأكثر من ذكر الله تكن أخص العباد الى الله[1]) ويقول بعض العارفين :

اذا غابت العوالم بقى الخبير العالم ، واذا غابت الأوانى بقيت المعانى ، واذا غاب الكون بقى المكون .

ولقد كان أستاذنا رضى الله عنه مع محبوبه فى جميع حركاته ، لا يحب الا ما أحبه له المحبوب .

أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب دينى وايمانى (٢)

وكنا نراه دائما مائلا الى الله راغبا فى شهوده عن شهود كل شىء، مشتغلا بمعرفته عن معرفة كل شىء ، فلا يتصور لنفسه عملا أبدا ولا يحس بشىء الا ويشهد خالقه فى ذلك الشىء من غير حلول فيه ولا اتحاد به .

عرف المحبوب فابتهجا
وعن الأكوان قد خرجا

وكان يكرر ليلا قول أحد المحبين وربما تغنى به اذا دخل بعض المدعين .

(١) وفى هذا المعنى حديث : اذكر الله حتى يقولوا مجنون ، وقد الف فى صحته ومعناه اكثر من عالم متمكن منهم الامام الشعرانى .
(٢) من قصيدة مشهورة للامام محيى الدين بن عربى .

محب الله لا يأويه دار
ولا يهوى مكانا فيه جار
ولا يهتم فى الدنيا بقوت
ويكره أن يكون له عقار
يفر من القفار الى قفار
ويبكى حين يفقده القفار
يقول لنفسه جدى وكدى
فما فى خدمة الرحمن عار

وقل أن يمر يوم لا يذكر فيه قول سيدى العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن شرقاوى رضى الله عنه .

وهاب هبنا أعظم اللذات
وأكشف لنا عن ضوء شمس الذات
فتاح فأفتح أعين القلوب
واجعل شهود ذاتكم مطلوبى
يا معنى العشاق بالتلاقى
أعظم هيامى فيك واشتياقى

وكثيرا ما كان يردد بعض أبيات سهلة اللفظ قوية المعنى حتى يشعر الحاضرون بفضل الله عليهم ومنها :

أنت الذى طول عمرى اللهم تكفينى
وعند موتى وتكفينى وتدفينى
أنت العليم بحالى والبصير به
يا مالك الملك يارب السلاطين

وهذه كلمات أخر شبيهة بها :

تريد العز فى دار الهوان
وتفرح بالحياة وأنت فان
وتنسى ما جنيت من الخطايا
فهل جالك من البارى أمان

وكان يحب الخلوة ليلا ويناجي ربه فاذا غلبه الوجد نطق بالكثير شاخصا ببصره ، غائبا عن كل شيء سوى خالقه وموجده ومن هذه الالهامات :

اللهم ان شوقى قد زاد فاقبضنى اليك ، عجبا لمن ذاق حلاوة محبتك، كيف ينقطع عن خدمتك ، تلاشت كل قدرة أمام قدرتك ، وحارت الأفهام فى فهم بدائع صنعتك ، علومك لا تنتزل فى الأوعية الفارغة المحبة ثمرتها معرفتك •

كرهت حياتى واستطبت منيتى
اذا ضحكت سنى فقلبى وما يبكى
لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يبصر القمر

اللهم انك تعلم وغيرك لا يعلم انه لا شيء عندى ألذ وأشهى من رضاك ، اسكرت قوما لرؤية حسن يوسف فكيف بك يا خالق الحسن ، ثم يبكى وتخرج منه زفرات تهيب السامعين وتبكى السالكين ، اللهم اغفرلى جرمى ولؤمى ، عودتنى القرب فلا تحرمنى ، من طلب دليلا على وحدانيتك كان أخس من البهائم ، وعزتك وجلالك لو عذبتنى بنارك ما ازددت الا حبك فيك ، سبحانك كان لا يدرى موسى بموسى ، من حصلت له حصلت له كل شيء ، ومن فته فاته كل شيء ، يا مؤنس القلوب يا علام الغيوب ، علمت مسكنتى فاعف عن زلتى ، السعيد من أسعدته والشقى من حرمته •

الهى — أغلقت الملوك أبوابها • وبابك مفتوح للسائلين •

الهى — خلا كل حبيب بحبيبه ، وأنت حبيب المنقطعين •

الهى — أنا البائس الفقير المقصر الراجى فلا تقطعنى من خدمتك•

الهى — يا جميل العفو اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك وكان رضى الله عنه يقول فى تفسير قوله تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ••• الآية » المشترى هو الله تعالى ، والبائع عبده المؤمن ، والثمن الجنة والنظر لوجهه الكريم ولما علم الناس أن البيع هو بذل النفوس ، وقف من

ليسوا أهلا لبذل هذه البضاعة ، وتقدم المحبون ولكنهم طولبوا باقامة البينة على صحة دعواهم فتنوعوا فى اثبات الدعوى — فتأخر الكثيرون ، وسارع أهل قوله تعالى :

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ثم يقول :

هنيئا لشهداء المحبة ، فهم أضياف عند خالقهم •

وكان رضى الله عنه يتغنى كثيرا بقول العارف بالله تعالى أبو مدين:

ولقد رأيت مرة ضيفا من مصر تظاهر فى بدء زيارته أنه حضر لمصلحة، ولكن أدركت أخيرا أن مصلحته زيارة الشيخ فقط ولم أره من قبل ، وأقام يوما وليلة وكل حديثه كان يتلخص فى تلاوة قصيدة الغوث « أبو مدين » •

يحركنا ذكر الأحاديث عنكم
ولولا هواكم فى الحشا ما تحركنا
فقل للذى ينهى عن الوجد أهله
اذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
اذا اهتزت الأرواح شوقا الى اللقا
ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى
أما ينظر الطير المقفص يا فتى
اذا ذكر الأوطان حن الى المغنى
يفرح بالتغريد ما بفؤاده
فيطرب أرباب العقول اذا غنى
ويرقص فى الأقفاص شوقا الى اللقى
فتضطرب الأعضاء فى الحس والمعنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى
تزخرها الأشواق للعالم الأسنى
أنلزمها بالصبر وهى مشوقة
وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى

ولم يزل هذا الزائر الغريب فى سلوكه ، وقصده وحضوره وقوله وحاله حتى طلب الأذن بالسفر فاذن له الشيخ ، ولما عدت من المحطة قال لى الشيخ انه يقطن الآن مصر ولكنه من الشام ومن أحبابه الذين

قطع الهوى قلوبهم وهامت بمشهودهم أرواحهم وكان رضى الله عنه اذا صحا من سكره ووجده ، وأدرك أن فى الحجرة أقواما قال : وحقك انى أقابلهم لوجهك وأتزين لهم من أجلك ثم يقول : هات لى ملابس النحيب فيرتديها ويجالسهم فاذا كان اجتماعهم ليلا وأضىء نور كمصباح « الكوكب » المعروف ثم خفت نوره يتعب فضيلته جدا لو قال قائل « قب المصباح وسخ » وربما أغمى عليه وبعد هذا الوجل يقول : اللهم نظف قلوبنا جميعا من الذنوب ولا تجعلها أوعية للنقائص والعيوب ، واذا قيل : أعط المصباح ابرة أصفر وجهه وسأل الله تعالى الحفظ من ابر الآخرة واذا تكلم فى الكلوب وقلبه وضوئه وقوته وضعفه وزيته وزجاجه ووسخه ونظافته ومعدنه ومفتاحه لم تكفه الليالى ، وقد يسمع رضى الله عنه حديثا من بعض الناس فيعاد فى القول معنى فى نفسه فيتيه فى بحار التجليات وتسكب عيناه العبرات .

دخلت عليه مرة فتاة ثم أسرت اليه وقالت :

ان الحال واقف ، تقصد بذلك أنها تطلب الزواج ولكن لا يطرق بابها أحد ، وترجو دعاء من الشيخ فقال لها :

آه لقد ذكرتينى بحالى ، فأنا صاحب الحال الواقف ، أنا المسكين ، أنا المقصر ، أنا البائس ، وأخذ يخاطب نفسه فترة بكلمات كلها زجر ، ثم طيب خاطرها — ودعا لها فخرجت وهى مسرورة ، وكان رضى الله عنه اذا تكلم فى اسم الله الرحمن أسمع الحاضرين كلاما لا يخطر لهم على بال ولا مبالغة اذا قلنا انه يتكلم فيه عمرا طويلا قال لى مرة: لا قدرة لى فى هذه الأيام على النطق باسم الله تعالى « الله أكبر » ولو نطقت به لضاعت البشرية وذكر لى حال كثير من القوم فى هذا الاسم بالذات وكان يقول أيسر ما فى الذكر لسانى ، ولقد مكث مدة عشرين يوما لا يتكلم الا بالاماء ولا يستطيع الكلام مطلقا .

وكان رضى الله عنه يقول : ان العبد اذا تمكنت معرفته كانت الدنيا كحلقة فى يده وصارت همته خالقة للسموات والأرض لأنه أصبح عبدا ذاهبا عن نفسه ، متصلا بربه ، تجلى له الجبار عن أستار غيبه — ثم يعمل من ابهاميه وسبابتية حلقة ويقول سلنى عن أى مكان ما فى أى قطر أو جهة فهو فى هذه الحلقة ولا حجة لى الا قوله تعالى :

« ان الله على كل شىء قدير » .

حبه رضى الله عنه لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم

لا أستطيع وصف حبه رضى الله عنه لحضرة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فكان قوله وفعله وحاله ينسبه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، واذا مضى عليه وقت قصير دون رؤية ربما قام وحثى التراب على رأسه واستعمل مع نفسه ألوان الاهانات وامتنع عن الأكل والشرب والنوم حتى يمن الله عليه برؤية الحبيب صلى الله عليه وسلم ، ولقد سمعته رضى الله عنه يقول : « أثناء هذا الطور » لو تنفست خمسة عشر نفسا لا أرى خلالها حبيبى صلى الله عليه وسلم لأيقنت أننى من المدعين ، ولو سلمت عليه بعد صلاة الصبح ولم أسمع الرد من حضرته صلى الله عليه وسلم لقتلت نفسى وقال : انى لأعجب

ممن يقول فى تشهده : السلام عليك أيها النبى ثم لا يراه ومعلوم أن الكاف للحاضر لا للغائب ولا غرو فقد كان نومه وصحوه ووقوفه وجلوسه ومجلسه واتكاؤه ونطقه وارشاده ولباسه ورفعته وعطفه وكرمه وسلامه وأكله ومشربه ووضوؤه وصلاته وتختمه وتطيبه ومزاجه وبيعه وشراؤه وتبسمه وذكره وتوسله وزيارته ودعاؤه ومرضه وعافيته كلها صفات لا تخلو من ذكر سيد الأولين والآخرين وحبيب العارفين وكثيرا ما كان يكرر هذين البيتين .

شفا سقامى أنتمولا سواكمو   فتحننوا واشفوا قتيل هواكمو
وان قيل لى ماذا على الله تشتهى   لقلت رضا الرحمن ثم رضاكمو

وكان يول : اذا أراد الله بعبد خيرا عرفه بحبيبه صلى الله عليه وسلم . فهو مفتاح السعادة فى الدنيا والآخرة وسمعته مرة يقول : —

بشارة أول قوله قال   آه والذنوب أثقال
والقبر رقاده وحياته   وعقاربه كبار

أضـــاخ القصــــير ونزلنـا والسواعى راض دخلنـا
بـــاك الـــذين مـا قبلنـــا نعـــاود عـــاد لهلنـا (١)

فسألته رضى الله عنه عن هذا القول فقال : ان بشـارة المذكور من السودان وكان مسرفا على نفسه فى شرب « المريسة » وفى ليلة ما رآه عمه فى النوم ورأى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم يقبل بشارة ، وفى الصباح ذهب عمه الى داره يسأل عنه فقيل له : انه فى محل المريسة كعادته ــ فقال : لا ، لقد طهر منها ومن غيرها واذا ببشارة يرى جامعا لرحاله متأهبا ، متوجها الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسـلم عن طريق القصير فلما وصل اليها وجد الباخرة أبحرت ولا يزال المودعون يلوحون بأيديهم الى الحجاج ، فقال بشارة هذه القصيدة فلما وصل الى قوله : باك الذين ما قبلنا عادت الى مينائها مرة أخرى دون ارادة الربان ، فركب رحمة الله عليه ومـازال بالمدينة المنـورة حتى توفى بالروضة الشريفة فأصبح من السعداء حسا ومعنى فأنا أذكره تشوقا واغبطه حيث اكتمل له الصفاء وتوجته عناية السماء • وجمعته المواهب دنيـا وأخرى بسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم •

فبالأقـدار يـرزق غـير عـان بلا سـعى ويحـرم من تغنى
عسى عطف عسى فـرج قـريب فقـد وصل الأحبـة وانقطعنـا
فشرفنـا بوطء تـراب أرضـه بزورتهـا يحط الوزر عنـا

وكان رضى الله عنه اذا أهدى اليه تراب من الروضة الشريفة تناول شيئا منه وأكله وقال : انه شفاء لى من كل داء •

لا تحسب المسك الـذكى كتربهـا هيهـات أين المسـك من رياها
طابت فـان تبغى التطيب يـا فتى فأدم على السـاعات لثم ثـراها

وقال رضى الله عنه مرة : اننى اعتزلت الناس فترة غير قصيرة وفيها شغلنى الله بذكر حبيبه صلى الله عليه وسلم فكان صحوى ونومى وطعامى وشرابى ، الصلاة على حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم واذا بى فى يوم تأخذنى سنة من النوم فرأيت حضرته صلى الله عليه وسلم يعطينى زجاجة مملوءة باللبن فشربت بعضهـا ثم تيقظت

(١) يلاحظ انه من الشعر الشعبى الشائع بالوجه القبلى والسودان وفيه اشارات عميقات تشرحها القصة .

وهى فى يدى فشربت الباقى والزجاجة فى البيت الآن وأخبـرنى رضى الله عنه انه ، لما سافر الى الحج وشرف بالمدينة المنورة نسى أنه يتعاطى الدخان ، كما نسى الطعام ومكث داخل الروضة لم يذكر مـزارا ولا مكانا ما بالمدينة المنورة غير تشريفه بالقرب من الحبيب صلى الله عليه وسلم وهكذا حتى شاء الله له بالسفر •

دار الحبيب أحـق أن تهـواها وتحن من طـرب الى ذكـراها
جزم الجميع بأن خـير الأرض ما قد حاط ذات المصـطفى وحواها
حتى لقـد خصت بروضـة جنـة اللـه شرفهـا بهـا وحباهـا

وكان رضى الله عنه يقول : لا يكمل حب العبد لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم الا اذا صار له مشهودا فيستأذنه فى جميع أموره ، وما أخذ علماء الظاهر الا بعدهم من باب الله تعالى وهو سيدنا صلى الله عليه وسلم ، ومن اتكل على تفكيره وعلمه الظاهرى وقف عند علمه وعجبه ، ومن اكتفى بما عنده خرج عن حده •

وكان رضى الله عنه يقول : ما أذنت مرة فى المسجد أو فى البيت أو فى أى جهة وقلت وأشهد أن محمدا رسول الله الا وشـاهدته صلى الله عليه وسلم •

وقلت لفضيلته يوما : ان النسفى فى سورة التحريم نقل عن غيره وتطاول على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما قـرأت عليه ما قال ، حلف لا يقرأ هذا التفسير حتى يلقى الله تعـالى وكان اذا قص عليه رؤيا وذكر له أنه رآه مع حضرة النبى صلى الله عليه وسلم طلب منه اعادة هذه الرؤيا مرارا وربما أمرنى بكتابتها ، وقال لى رضى الله عنه مرة قبل بناء الساحة بسنوات عديدة ، أنه رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المكان الرحب الذى كان فى واجهة المبنى الأول وجلس النبى صلى الله عليه وسم على ديوان حدد الشيخ لى مكانه وعليه قرأ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسـورة طـه) ثم طلب الوضوء فانشقت الأرض ونبع الماء وتوضأ صلى الله عليه وسلم وها هو المكان تقام عليه ساحة حظيت برؤية خير من وطىء الثرى فكانت كعبة عظيمة جميلة أخـاذة ، واسعة المقاصـد ، جامعة للأمثلة والشواهد ، هدفا لآمال المريدين ، مقصدا للعلماء والمرشـدين

كنزا للطلاب والمجدين ، بابا للسالكين والعارفين ، تتراءى فيها السعادة ويحظى كل فرد بالهناءة ، لها فى كل يوم لون جديد من الكرم والمواهب وعطف شامل لكل طالب وصحائف ساطعة وأمجاد لامعة أسسها شيخنا رضى الله عنه ، ولاشك أنها ستكون لبضعته وأبناء مدرسته منهلا يشرب منه الظامىء فيرتوى ، ومشعلا يستضىء به كل زائر فيهتدى .

أعلامه فى دار التقـوى مرفرفـة   والمجد أضحى له رمـزا وعنوانـا
سارت بسـيرته الركبان واعترفت   بأنه قـد بنى للـدين أركانـا

حبه رضى الله عنه لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم

بعض المحبين يتكلفون المحبة حتى يصلوا اليها — أما شيخنا رضى رضى الله عنه فقد كانت محبته للنبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته هبة ومنة من الله تعالى ، وكان يقول : ان حبهم يشرح الصدور ويديم السرور ويذكر حديث أبى بكر رضى الله عنه ارقبوا محمدا صـلى الله عليه وسلم فى أهل بيته ، وكان يقول محب آل البيت محسوب عليه ، تاج ببركته ، ومبغضهم مطرود من رحمة الله تعالى . وكيف لا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكون المسلم مسلما حتى تكون ذاتى أحب اليه من ذاته ونفسه وعترتى أحب اليه من عترته .

وكان يقول : انى أحب الفرزدق لمدحه سيدنا زين العابدين بالقصيدة المشهورة : —

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتـه   والبيت يعرفه والحـل والحـرم
هـذا ابـن خير عبـاد الله كلهم   هـذا التقى النقى الطاهر العـلم

ومنها أيضا : —

من معشر حبهـم ديـن وبغضـهم   كفـر وقربهـم منجى ومعتصـم

وكان رضى الله عنه اذا دخل عليه زائر من أهل البيت يجلسه ويقدره بصورة تلزم الناس احترامه وتقديره ويقول له : لولاكم ما كنا ، وربما قام وتطيب ولبس حلته أو عباءته ، ولا ينام ولا يتكىء ولا يرفع صوته مادام هذا الشريف فى مجلسه ويعلن أنه اليوم سـعيد ، وليلة اجابة وفيض ، وكان اذا حوى المجلس كثيرا من عامـة الشعب يضرب

لهم الأمثلة ويقول ان مجنون ليلى وقف مرة لكلب فقيل له : ولم ذلك ؟ فقال : انى رأيته مرة فى بيت ليلى فأنا أحبه لحبها (١)

لـو رأينـا لسـلمى أثـرا   لسجدنـا الـف الـف للأثـر

وكان يقول : ان الامام مالكا رضى الله عنه جاءه رجل وقال له : انه من أهل البيت فأكرمه الامام رضى الله عنه — فقال له تلاميذه : ان هذا ليس شريفا — فقال : أعرف ذلك ولكنى أكرمته لأنه لجأ لهـذا البيت العظيم وعلينا بعد ارشاده .

ولقـد كان رضى الله عنـه مرة بالخطـارة وفى الليـل نام بالقـرب منه ضيف أساء الأدب فى آل البيت فلم ينم رضى الله عنه طول ليلته وفى الصباح اتخذ جميع الوسائل التى تغضب هذا الضيف من شـتم واهانة بالغـة ، وكان الضيف مشـهورا ببطشه وقراءته فى بعض كتب الفقه للذين ينفثون سمومهم التى تخيفها قلوبهم الحاقدة الحاسدة لآل البيت رضى الله عنهم وانها لساعة رهيبة حينما استسلم الرجل وطلب من الشيخ الصفح ، فرفع الشيخ يده وقال اللهم لا تسـامحنى اذا سامحت هذا الرجل ما لم يتب ، ويعرف لآل بيت نبيك حقهم فاضطرب الرجل واصفر وجهه وتذلل ووقف كئيبا لا حول ولا قوة ، فلما أدرك الشيخ ما به ناداه وقال له : من أقل الناس وأضعفهم فى نظرك ، فقال: أنا : « يعنى نفسه ، ثم قال له الشيخ ، ما قولك فى اشراف كذا وذكر له بعض من اغتابهم فقال : انهم أشراف وأنا المخطىء فى حقهـم ، المتطاول عليهم لجهلى ، ولهوسى ، فقال له الشيخ رضى الله عنـه : اكتب فى يدك قول النبى صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه : —

« أحبوا أهل بيتى لحبى »

---

(١) وهذه القصة يذكرها فى هذه الابيات :

رای المجنـون فى الصحراء كلبا   فمـد له من الاحسـان ذيلا !
فلامـوه علـى مـا كان منـه   وقالوا : كم أنلت الكلب نيـلا ؟
فقال دعـوا الملامة ان عينى   رأته ليـلة فى حى ليـلى !!

ثم قال رضى الله عنه ، اعلم أيها الرجل ان غيبة أهـل البيت تورث النفاق وسـوء الخاتمـة ، لقد سـامحناك ولكنى أبشرك الآن بأنك لن تموت حتى يبتليك الله بالمرض الذى يذلك ويبعـدك عن رعونتك فتلقى الله وقد أذهبت حسناتك كثيرا من سيئاتك .

ولقد حقق الله نصح الشيخ له وكرامته اذ أصبح الرجل معقـدا يبول على نفسه عافه أهله حيث انقطع نفعه واندرس شبابه ، وفتأت جبهته وفت عارضاه وجحظ عيناه وحينئذ لم يجد من يرحمه غير مولاه فهيأ له الأسباب وأكرمه بالمتاب بعد أن عامل آل البيت بحسن الآداب والاعتبار وشملته محبة النبى المختار صلى الله عليه وسلم وكان رضى الله عنه يقول :

والذى أدين الله عليه ، ان ذنوب . أهل البيت صورية ثم يذكر قول الله تعـالى :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

توسله رضى الله عنه وتشفعه بالنبى

صلى الله عليه وسلم الى ربه تعالى

كان رضى الله عنه يقول : ان الاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته الى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين ، وكان يذكر قول الله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » وحديث النبى صلى الله عليه وسلم :

« توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم » .

والحديث القدسى : « من اشتاق الى رحمتى رحمته ، ومن سألنى أعطيته ، ومن توسل الى بمحمد لم أخيبه) .

وحدث مرة أن سأل أحد كبار الضباط غير واحد من مشايخ الطرق والعلماء عن التوسل وجوازه فلم يذعن لاجاباتهم ولم تسترح روحه لأقوالهم ، فلما ذكرت للشيخ أدلتهم قال لى رضى الله عنه :

اعنى — التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم والانبياء والصالحين وكل دليل أذكره لا أكرره طول حياتى ثم استدل بتشريف الله تعالى للكعبة وجعلها قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مع أنها بناء معروف ، وورد أن النظر اليها يكفر الذنوب ، وأضاف الى ذلك قول مالك رضى الله عنه لهرون الرشيد : ولم لا تستقبله وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة وكان اذا أتاه من نزل به كرب قال له : توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم . وعلمه الحديث المشهور الذى رواه عثمان بن ضيف رضى الله عنه .

وكان رضى الله عنه لا يخطو خطوة ، ولا يقضى حاجة ومن توسل بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل علينا قوم أثناء تناول الطعام الا وتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل الجميع ويوقنون بزيادة البركة .

وكان رضى الله عنه يقول : المسئول وحده هو الله تعالى وما التوسل بالانبياء والصالحين الا لكرامتهم عند الله تعالى والأمر واضح حينما يقول المتوسل :

« أسألك بذات النبى أو الولى لماله من جاه وحرمة يا رسول الله انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم بنبيك الطاهر اللهم انى أسألك بحبك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبجاهه عندك ، لاشك أن المنكرين نسوا المعنى الذى ترمز صلاة الاستسقاء وقول الله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » — وقوله جل شأنه : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » —

وفى سنة ما احتفل رضى الله عنه بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فذبح « عنزا » ودعا كثيرا من الجيران والاخوان وصنع من الخبز قليلا بالنسبة لكثرة الزائرين فأخذ رضى الله عنه يضع اللحم فى طست ويتوسل بصاحب المولد صلوات الله وسلامه عليه ، فاذا به يفور ويملأ طستين ويفيض بصورة لا يتصورها منكر أبدا وهكذا حصلت البركة فى الخبز واللحم حتى بقى منهما الكثير ، وكان رضى الله عنه يذكر حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء (أى اكراما له وتعظيما لشأنه علم بذلك أو لم يعلم ، وكان رضى الله عنه يتوسل بأسماء الله تعالى وكلماته وآل بيت رسول الله وصحابته وجاهه وحرمة وقدره ومنزلته وحقه وحق الأولياء الصالحين والمجاهدين — وكان رضى الله عنه يتوسل بما يتوسل النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك .

ولقد علمنا رضى الله عنه حب النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته والتوسل بهم ، فلن تحيد عن بالهم ، ولا فرق عندنا ان كانوا فى الدنيا أو الأخرى ، وتخصيص التوسل بالاحياء لا وجه له بل تصرف الارواح فى البرزخ أقوى من تصرفها حال الحياة .

« تطـــوره رضى الله عنــه »

التطور جائز وثابت عند الاولياء والاحـاديث الواردة فى الأبـدال صحيحة مشهورة ، ولقد ذكر الادفوى فى الطالع السعيد تطورات كثيرة للشيخ مفرج الرماميلى وغيره وفى الوحيد للشيخ عبد الغفار القوصى أن شيخه أبا العباس الملثم كان يغيب يومين ، فاذا حضر الحجاج الى قوص أخبروا أنه كان مرافقا لهم فيقرهم ويذكر حوادث كانت معهم ومع غيرهم ، وفى مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عن تلاميذه . قال: حججت ، فلما كنت فى الطواف ، رأيت الشيخ تاج الدين فى الطواف فنويت أن أسلم عليه ، اذا فرغ من طوافه ، فلما فرغ منـه جئت فلم أره ، ثم رأيته فى عرفه وفى سائر المشاهد فلما رجعت الى القاهرة سألت عن الشيخ فقيل لى طيب فقلت : هل سافر ؟ قالـوا : لا فجئت الى الشيخ وسلمت عليه وقال لى : من رأيت ؟ فقلت : يا سيدى رأيتك . فقال : ان الرجل الكبير يملأ الكون .

ولقد كان شيخنا رضى الله عنه فى تطوره أرقى وأعظم فكان لا يغيب، وربما كان معنا فى فترة الحج أو غيرها ، ولا يبارح الأقصر والبغدادى مثلا — واذا حضر الحجاج قال كل حسب استعداده . فهذا يروى أنه كان مع الشيخ فى المدينة ، وثان فى عرفه وغيرهما على جبل الرحمة أو فى الطواف وكلهم ثقة وعدول ، وكثيرا ما أكون بصحبته رضى الله عنه فى مصر فيشير لى الى بعض أشخاص فى مسجد أو قطار أو قهوة أو مجتمع يسلمون عليه وربما طلبوا منه مالا أو نجوة ، وبعد دقيقة لا أراهم فيقول : انهم من أهل التطور ، وقد وصلوا الى المدينة المنورة فى ثوان وذكر لى عن كثير منهم — ان هذا أو هؤلاء من أهل الآخرة، والجسم المشاهد تطوره بنور الروح وربمـا كانوا وقتئـذ عشرات أو مئات ، وقد يغيبون فى دقيقة أو دقائق ، ومن النـاس مـن رأى فضيلته فى بيته أو حجرته أو فى الشارع ، وبعد لحظة . يغيب عنه .

كان ينشد رضى الله عنه مرة قصيدة مشهورة فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أنت الذى لـولاك ما خلق امرؤ   كـلا ولا خلـق الـورى لولاكـا
أنت الذى من نورك البـدر اكتسى   والشمس مشرقـة بنـور بهـاكا
أنت الذى لمـا رفعت الى السـما   بك قـد سـمت وتزينت بسراكا

وكنت أردد معه أبيات القصيدة . فقال رضى الله عنه ، انى أرى نفسى الآن فى الروضة الشريفة وأرى جسمى المتطور واقفا بها على مثالى وصورتى وكنت لا أعجب من ذلك لأن مشاهداتى كانت تـؤكد ايمانى بها — وكان يستـدل رضى الله عنه ببيت المقـدس فى قصـة الاسراء .

وقد ورد فى الحديث « فجىء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضـع دون دار عقيل فنعته « أنا أنظر اليه » فهذا من باب المثال ومعلوم أن أهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك السـاعة من بلدهم ولـو أردنـا استقصاء تطوره رضى الله عنه وما جرى للناس معه فى اقطار بعيدة لاحتجنا الى كتب كثيرة ولا مراء فى أن الحديث ساقط مع المنكر لأنـه غير مؤمن بالغيب مكذب لكرامات الأولياء بعيد عما اثبتته سنة سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم أما المصدق فعليه « بكتاب الحاوى للفتاوى للاسيوطى » .

وكتب ابن أبى حجره والأستاذ العلامة الشيخ محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا .

عرفنا الله بما عرف به أحبابه وأولياءه انه جواد كريم رءوف رحيم.

تفسير بعض الآيات القرآنية التى سألناه عنها رضى الله عنه

سألنا رضى الله عنه عن قول الله تعالى :

« أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » فقال رضى الله عنه : أى نمنع عن بعض جهاتها المطر فينقص رزقها لعدم نزول المطر فيها وعدم نبتها للنبات — والطرف هو الجهة •

وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »

فقال رضى الله عنه : الصلاة الوسطى هى التى لا افـراط فيها ولا تفريط وهو أنسب تفسير استرحنا له ، وأن أقوال المفسرين المتضاربة فى أنها الصبح أو الظهر .... الخ لا شىء بجانب هذا القول •

وسأله مرة عالم : عن قول الله تعالى :

« الذين يستمعون القول ، فيتبعون أحسنه » •

هل فى القرآن حسن وأحسن ؟ فأجابه الشيخ رضى الله عنه قائلا : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » —هذا حسن ولئن صبرتم— هذا أحسن فبدا السرور على وجه العالم وأبدى اعجابه •

سمع قول الله تعالى : « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » •

قال ومن الأصنام الدرهم ، والدينار ، والوظيفة ، وكل شىء يشغلك عن مولاك •

سمع عالما يفسر قول الله تعالى :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، ومـا أوتيتم من العلم الا قليلا » •

قال الأستاذ المفسر : يقول الله تعالى قل لهم أى لليهود — الروح من أمر ربى ثم قال لرسوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا — فقال له شيخنا رضى الله عنه هذا القول « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » عائد على اليهود لأنهم جهلة ومع هذا يمتحنون النبى صلى الله عليه وسلم بأسئلتهم ويتطاولون عليه بسوء أدبهم — فاعترف الشيخ العالم •

وسئل رضى الله عنه عن رأى بعض المفسرين فى قـوله تعـالى : « ومنهم من عاهد الله ، لئن آتانا من فضله لنصدقن ، ولنكونن من الصالحين » الآيات •

فقد أخبروا أنه صحابى يدعى ثعلبة بن حاطب ويذكرون فى تفسيره قصة طويلة فقال رضى الله عنه :

وهم من المفسرين ولو سألتم وليا لأنكر ذلك انها لا تصدر عن ذوى مروءة فكيف • بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى :

« عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صـدقوا وتعلم الكاذبين » •

فقال رضى الله عنه — أبعد قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » يتطاول المفسرون ، انه لا ينبغى لعبد أن يظن أن الرسـول صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين فى حين أن الله تعالى : اذا أذن لولى من أولياء الله عرف الصادق من الكاذب فما أجمل هذا العفو اذا كان من الحبيب لحبيبه ، ولا شـك أنه تعظيم بمنزلة أعزك الله أليس ذلك — أجمل وأليق وأوفق للعصمة ••

عرفنا الله بحبيبه ورزقنا الأدب مع حضرته وعطف علينا قلبه صلوات الله وسلامه عليه •

سئل رضى الله عنه عن قول الله تعالى :

« لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد » فقال : المزيد هو النظر لوجه الله الكريم ••

سئل رضى الله عنه عن قول الله تعالى فى آيات الصوم :

« كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معــدودات » فقال الذين من قبلكم — الانبياء والرسل وقوله تعالى أياما معدودات العمر كله • وليس الصيام من جوع أو عطش انما هو معرفــة الله تعــالى •

وسأله بعض العلماء عن قول الله تعالى :
« اتل ما أوحى اليك من الكتاب — وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » •

فقالوا : هل ذكر الله أكبر من تلاوة القرآن واقامة الصلاة ومعلوم أن تلاوة القرآن أعظم ذكر واقامة الصلاة فرض ؟

فأجابهم : سأقول لكم ما أسمعه الآن من المدينة — ان العبد اذا تلا القرآن وأقام الصلاة ذكر الله وذكر الله لك أيها العبد بالعطف والشفقة والرحمة أكبر من ذكرك له بتلاوة القرآن واقامة الصلاة ففرحوا كثيرا بهذه الدرر الغالية •

« بعض كراماته رضى الله عنه »

كان رضى الله عنه يقول : ان جميع الكرامات التى تظهر على ولى من أوليائه ليست من عَلم أبيه أو أمه ، ويجب على العبد أن يوحــد الله تعالى لا يشرك به شيئا ، ويشهد أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم نبيه ورسوله ، ثم لا يهمه بعد ذلك أن يؤمن بالمغيبات التى يجريها الله تعالى على أهله وخــاصته ، والمنن التى يسعد بهــا من أحبهم واختارهم لخالص عبوديته ••

فاعلم يا أخى • أن الله تعالى هو صاحب المشيئة ، فارادة العبد هى عين ارادة الحق كما ورد فى الصحيح :

(فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به — الحديث) •

فالكرامة والحركة والقول والفعل بيده تعالى ، ولكنه سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء — ومتى من الله على عبد بسجود وقلبه بين يديه كان هذا العبد ممن خصه الله واختاره — واعلم كذلك أن مانسب الى سيدنا عيسى عليه السلام من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص انما هو باذن الله تعالى ومشيئته فلا تقف عند علمك وعقلك والتسليم لابد منه وقدرة الله أعظم من كل ذلك والقرآن ملىء بالــكرامات ، فطهر قلبك وفتش نفسك واذا قست كل شىء على تفكيرك وقعت فى كل مالا ينبغى من حيث لا تشعر ، وأقل ما تقع فيه أن تحتقر شعائر الله ومنته على من اصطفاهم وترى الكمال نقصا دون أن تدرى •

ومن يعترض والعلم عنه بمعــزل يرى النقص فى عين الكمال ولايدرى

واستطيع بعد ذلك أن أذكر بعض نفحات استاذنا رضى الله عنه ونفعنا به وبعلومه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلــه وصحبه وسلم — فأقــول :

❋ ❋ ❋

١ — توجهت مع سيادته رضى الله عنه مرة الى قنا فوصلنا اليها مساء واجتمع القوم فى بيت الحاج محمد يس النقيب : التاجر • وكان من بين الحاضرين عالمان هما الشيخ زاهد شيخون واعظ مدينة قنا والثانى الشيخ أحمد القط مفتش وعظ المحافظة ، فقام الأخ الاستاذ عبده عاشور النقيب • يعرف بهذين العالمين كالعادة المتبعة ، فقال استاذنا رضى الله عنه أما الاول فأعرفه جيدا وتربطنى به صلة ، وأما الثانى فقد عرفته فى اندونيسيا وهنا دهش الجمع كله وأولهم السيد / مفتش الوعظ فأجابه الشيخ : لا تعجب واعلم أنه لو كان لقلب العبد عيون لأطلعه سيده على كثير من ملكوته ولا فرق بين اندونيسيا والحجرة التى تضمنا الآن ولكن حجبنا عن الله علمنا ورؤيتنا لهذا العلم ، ووظائفنا ، واللذة التى نشعر بها ، وا نلى أخا بها اسمه عثمان يحدثنى عن هذه الرحلة وعن اكرامه لك وهو الآن معنا بهذه الحجرة فدهش الشيخ وأخذ ينظر فى الحجرة فقال له : لا ، ليس النظر اليهم بهذه العيون ، ولكنها عيون الروح والعطايا الالهية وهنا أطال السيد / مفتش الوعظ فى وصف الرحلة واكرام ولى الله عثمان له ، وأنه ما رحل من جزيرة الى أخرى الا ووجده فى الجزيرة الثانية بعد أن يتركه فى الأولى ، ثم قال له الشيخ : أن عثمان رضى الله عنه يذكرنى بحادثة كانت بينك فاذكرها كما هى فرواها مفصلة ولا داعى لذكرها الآن حرصا على عقول بعض القراء من الزلل ، وقد ذكر المفتش أنه كتمها من زملائه العلماء أعضاء البعثة حتى لا يقال انه مجنون ، وقال فضيلته : ولولا أنها حدثت معى ما صدقت أحدا هذا وقد حوى الجمع حينئذ عشرات الرجال ، منهم المنكر والمغتاب ، والعالم والجاهل ، فلما شاهدوا شهدوا قائلين : الله أكبر ان الله على كل شىء قدير ، وهللوا وكبروا ، وفى طليعتهم الاستاذ مفتش الوعظ وذكر : أنى حضرت الى هذا المكان ممتحنا ، ولكن الله اكرمنى وحفظنى من سوء الظن ، ثم قرأ فى صوت خافت :

« والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم سبلنا »

* * *

٢ — لما انتهى فضيلة المفتش من سرد قصته ، وبعد ايمانه بالكرامات التى اجراها الله تعالى على لسان الشيخ رضى الله عنه

قال له الشيخ : يبدو لى انك تنقلت كثيرا بين الاقطار العربية والاسلامية اذكر لى حال بعض الخاصة الذين جمعك الله بهم ، فقال : كنت فى مكة واعظا بالحرم المكى من قبل حكومتنا وكنت أشاهد على رجل عادى فى مظهره لا يصلى جماعة خلف امام الحرم المكى ، وبعد الصلاة يجمع أخوة له فى الله ويصلى بهم اماما وقبل أن يكمل المفتش قصة فقير مكة والحوار الذى كان بينهما فأجابه الشيخ بقوله : انه أخى الشيخ عمر ، فقال المفتش : والله انه لعمر — فأجابه الشيخ : انى لأعرفه تماما وبينى وبينه صلة ، وان كنت لم أره بجسمه فى الدنيا ، وفضل الله لا حصر له • وبعد هاتين الكرامتين ووصف المفتش لشيخ مكة ، قضى شيخنا ليلة كاملة يشرح فى منن الله على عباده موضحا لسادة العلماء : أن من حفظ العلم الظاهر حق حفظه حتى عمل بمقتضاه ،علمه الله أسراره وهداه •

* * *

٣ — كان رضى الله عنه فى قنا فطرأت عليه حالة غريبة وكان ذلك أثناء الأكل فسكت القوم فترة طويلة • وبعد الهدوء عاد الى طعامه وقال ان بنت أخى الحاج محمود عبد الوهاب فى حالة وضع بالاسماعيلية• وكانت فى شدة فلم أستطع تناول شىء الا بعد أن فرج الله عليها وتم الوضع والحمد لله رزقها الله ولدا (ذكرا) وأخذ يصف المولود نفسه وهيئته ، وبعد ساعات وصل تلغراف من الجهة التى تم فيها الوضع لتهنئة الاسرة بقنا — أما فضيلة الحاج محمود عبد الوهاب فهو من أخص علماء قنا الموهوبين ، وهو مأذونها الشرعى ، وقد كان حاضرا أثناء هذه الكرامة •

* * *

٤ — كان رضى الله عنه مرة فى خزام (احدى ، قرى مركز قوص) وكان مع القوم الاخ الحاج ابراهيم نصار القوصى ، الناظر بالمدارس الاميرية ، فأخبره بأن زوجته بقوص فى حالة وضع وكانت حالة وقتئذ غير طبيعية فترك الحديث والوعظ فترة ثم أفاد بأن الله تعالى أكرمها وولدت بخير ومولودها فى خير ولما توجه الاخ الحاج ابراهيم نصار الى قوص عرف أن اللحظة التى أشار اليها الشيخ فى خزام هى الفترة التى حدث فيها التعب وسمى المولود أحمد رضوان •

* * *

٥ ــ اجتمع أخى الحاج عبد اللاه عبد المالك بالشيخ فى الاقصر ، وأخذ الشيخ يتحدث معه فى شئون كثيرة وسأله وأخى يجيب ما استطاع ، وكان من الأسئلة : هل عند زوجتك حمل ؟؟ قال لا أدرى ــ فقال له : انها حامل فى الشهر الثالث فلما رجع الى بلده وداره تأكد من صحة ما أخبره به الشيخ والحمد لله .

***

٦ ــ اجتمعنا مرة عند الأخ الأستاذ أحمد على عوض المريس المدرس بالمدارس الثانوية بداره بالاقصر ، فنظر اليه شيخنا رضى الله عنه وقال له : هل عند أهلك حمل ؟ قال نعم فقال رضى الله عنه ، ان بها ولدا ذكرا ــ وقد رأيت بالبيت فى هذه اللحظة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فاذا ولد فسمه ابراهيم تيمنا وتبركا ، وقد حضر فى هذا المجلس كثير من الموظفين الذين صبروا مدة يتساءلون حتى ولد ابراهيم .

***

٧ ــ قال له يوما الاخ المحب الشيخ كامل أحمد القاضى عمدة صعايدة الكلح ان زوجته فى حالة وضع ، وانه يرغب فى احضار طبيب كالعادة المتبعة فى مثل هذه الحالة ، فأجابه العارف بالله تعالى : أنه لا داعى لاحضاره فى هذه المرة وأنها تلد بسهولة ، وسيكون المولود ذكرا بقدرة الله تعالى ، وقد تم ذلك دون اللجوء الى الطبيب .

***

٨ ــ اكتفى بهذه الكرامات وأود أن أقول ان مثل هذا النظام لو أردت أن أسرد كل ما شاهدناه لاحتجنا الى سجلات كثيرة ورب قائل يقول : كيف يتفق هذا مع قول الله تعالى « ويعلم ما فى الأرحام » والجواب الذى ذكره الشيخ هو أن ذلك من وقت النطفة الى التخلق ــ فاذا علم الملك بهذا المخلوق وهل هو ذكر أم أنثى ــ جاز الاذن لغير الملك هكذا أخبر رضى الله عنه وورد مثل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنهم ومن العارفين الذين يخبرون عن الله تعالى[1] .

(١) ان هذا المعنى الذى قرره الشيخ رضى الله عنه يحل عقد المشاكل القائمة الان بين الاطباء والعلماء على طريق معرفة نوع الجنين وهو أوفق حل عرفناه الان .

٩ ــ الاخ ابراهيم ناجى (قائد وضابط معروف) ومن الاحبة الذين تربطهم بالشيخ صلة روحية موصولة لوجه الله تعالى ــ جاء من القاهرة زائرا ، ونزل الاقصر واجتمع بالأخ الشيخ مصطفى محمود ، وتوجها معا الى صاحب سيارات الأجرة فركبا سيارة وقصدا البغدادى ولحقنا بهما بعد زمن يسير وهناك اجتمعنا وشرفنا بمجلس الشيخ حتى حان وقت الصلاة فقام الاخ الضابط ليتوضأ وتحسس جيوب بدلته فلم يجد نظارته ، وأخذ يفكر حتى أيقن أنه تركها فى مكتب صاحب السيارات بالاقصر ، ولا يوجد بالساحة تليفون وقتئذ وكنا فى حدود مائة شخص ، فقال الشيخ صلوا وستحصل بركة النبى صلى الله عليه وسلم . وبعد السلام من الصلاة مباشرة نادى الشيخ على الأخ الضابط وسلمه النظارة فلما تعجب القوم قال لهم أحضرها من أكرم بعض أوليائه باحضار عرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف ، وكله من فضل الله تعالى ، ووالله ما مددت لها يدا .

***

١٠ ــ قال لى مرة : كلف من يقوم بتسخين ماء ويضعه فى مكان مستور . ففعلت ، ثم أشار على بالتحدث مع أحد الأخوان وحدد لى اسمه ، وقال لى : مره يغتسل فحدثته سرا بينى وبينه فاستحم واعترف بأنه كان جنبا وكان ساهيا . وأن هذا الاجراء كان بمثابة تنبيه له أيقظه من غفلته ، وأنقذه من ورطة كان غافلا عنها وقد حمد الله وشكره كثيرا .

***

١١ ــ دخل عليه مرة رجلان يسألانه فى مصلحة ، فشتمهما كثيرا ثم قال لهما : لا حديث معكما الا بعد الصلاة ، لأن تأخيرها جنون فما بال تركها ؟ خرج الرجلان وتوجه واحد منهما الى المسجد أما الثانى فكان متباطئا فى سيره ونزوله من السلم وقبل خروجه من الباب أخبر الشيخ أن هذا الخبيث جنب من شهر كامل ، وقد اتجه معه أخى الشيخ مصطفى نحو الباب وربما كان يعرف بلده والجهة التى ورد منها فدهش الرجل واعترف بجريمته تماما وأكد أن قول الشيخ صحيح ، وأنه لا يهتم بهذه الناحية ، وقد تعود ذلك فخرج ولم يعد مرة أخرى .

***

١٢ — قال أحد العلماء المعروفين : انه بات مع الشيخ ليلة بكرنك الأقصر وفى الليل احتلم فضيلة الاستاذ العالم ، وكان تعادة الشيخ تقديمه للامامة فقضى وقتا غير قصير تحت غطائه يفكر ، حياؤه يمنعه من التحدث مع صاحب البيت والبرد مانع آخر وماذا يفعل لو سكت على هذه الحال ثم قدمه الشيخ لصلاة الصبح — وبينما هو يسرح فى أفكاره ، واذا بالشيخ يوقظه قائلا : سأكلف صاحب البيت ليسخن الماء ولتستحم ، فأجاب العالم بنعم واغتسل •

* * *

١٣ — سألت الشيخ رضى الله عنه عن السر فى معرفة مثل ذلك فأفاد رضى الله عنه بأنه لا يتعب فى كشف هؤلاء الناس لانه يرى جرم المادة على نفس العاصى ، وقد ذكرت قلة من هذه الكرامات التى لا حصر لها فى هذا الباب ، وربما قال فضيلته : انى أرى الملائكة بعيدة عن هذا الغافل — وقد قرأنا لبعض العارفين كثيرا فى هذا الفن وشاهدنا من المجاذيب التصريح الواضح لبعض الغافلين •

١٤ — قبل خروجى الى عملى صباح يوم ما دخل علينا رجل فى زى الدراويش ملبسا ولحية ومسبحة ، وحينئذ طلبت من الشيخ الاذن بالخروج لأباشر عملى الوظيفى فقال لى : لا تخرج قبل أن تسلم هذا للبوليس لأنه شرب الحشيش قبل دخوله علينا بلحظة فاضطرب الدرويش وارتبك ، ثم قام الشيخ فنهره وضربه ولم يسع الرجل الا الاعتراف والتوبة والندم •

* * *

١٥ — أقبل على الشيخ رجل فى هيئة المجاذيب ومعه حجر كبير يضرب به صدره ، وكان الشيخ وقتئذ يلبس جلباب صوف أسود وطربوشا أبيض — فاتجه المدعى نحو الشيخ فى هيئة غير طبيعية وبعد أن سلم قال للشيخ : ان الجمال ستكسب كثيرا ، أنا عارف هذا الدور كله مكسب ، معتقد أن الشيخ تاجر جمال ، ولما استرسل فى الفضول — طالب بأجر نظير هذه البشرى — أمسك به الشيخ وطلب عدم افلاته حتى يسلم للشرطة ، وفى النهاية تبين أنه هارب من العدالة وأنه محكوم عليه •

* * *

١٦ — سمع به مهندسان ألمانيان فسعيا اليه وكان بصحبتهما من يعرف لغتهما ، ودهش الجميع حينما أدركوا أن الشيخ يكلم المهندسين باللغة الألمانية ، ولقد قال مرافقهما ان لغة الشيخ أفصح من لغتهما — وكان يسألهما عن المانيا وهمبرج وبرلين وغير ذلك •

١٧ — ذكر لى فضيلته أنه ذهب ويذهب الى المانيا ، وكان على علم بشوارع برلين ومدن غيرها وفى الحرب العالمية الثانية أخبر فى ليلة ما بأن ألمانيا خسرت الحرب وكان روميل فى العلمين — وقد تقهقر منذ ذلك الحين ودارت الدائرة على ألمانيا وحزبها •

* * *

١٨ — توفى الشيخ العقيلى بالسلمية وهو أحد العلماء وأخ الشيخ رضى الله عنه — وكان الشيخ رضى الله عنه بمركز أدفو فحضر رضى الله عنه قبل أن يرسل اليه ، وقال : لقد قدمه لى ملك لأصلى عليه فألهمت أنه توفى •

* * *

١٩ — وقد حدث مثل ذلك حينما توفى الشاب النقى السيد/محمود كمال من أشراف ادفو وهو من أخص أحباب الشيخ رضى الله عنه وكان يسعده أن يحضر الشيخ وفاته •

* * *

٢٠ — فى سنة ١٩٥٤ تقريبا نزل فى مدينة قنا سيل لم تشهده من قبل فأنزل بها ضررا بليغا كان له صدى فى أنحاء الجمهورية ، وبعد شهور كنت مع فضيلته بالسكن الذى كنا نقيم فيه بالأقصر فشاهدنا سحابا كثيفا ينبىء بنزول المطر ، وما هى الا لحظات حتى زاد خطره وخشى الناس ضرره وذكروا ما أصاب قنا وكنت أعرف النبى صلى الله عليه وسلم كان يتغير أثناء حدوث مثل ذلك ويدعو ما شاء الله حتى يفرج الله الكرب وحتى تكون رياحا لا ريحا والعارفون تبعه وورثته صلى الله عليه وسلم ، ولمست ذلك كثيرا فى الشيخ رضى الله عنه وقد كانت هذ المرة أشد وأوضح — اذ قام ينظر الى السماء من النافذة ، ثم أخرج ما فى حقيبته من ملابس نظيفة وقال لى : ان

زروع المسلمين فى خطر ، وانى سأقوم بغسل هذه الملابس وتنشيرها فى سماء هذا البيت فان ظهرت الشمس ، وانقشعت الغيوم وجفت الملابس كان لى جاه عند الله ، والا كنت مزيفا غير مقبول ، واشتد به الحال ، وخلع ملابسه ولم يترك غير « سروال » يستره ، وأخذ العرق يتقاطر على جسمه كله — وقال لى : ساعدنى فى هذه المهمة وسترى فضلها يوم القيامة — فأتيت بأوانى متعددة وأخذ الشيخ يغسل بنفسه وقد انضم الينا فترة الاخوان الشيخ مصطفى محمود والسيد / اسماعيل حسن وما هى الا دقائق بعد غسل الملابس ووضعها فى المكان الخاص حتى ظهرت فى السحاب فجوة بيضاء ظهر ضوؤها ثم بدأ نور الشمس ، وأخذ يتسع حتى أرسلت شعاعها على الأرض وعادت الحالة الطبيعية فى زمن غير عادى فرفع الشيخ يديه الى سماء خالقه فى ذلة وخضوع وابتهال يبكى من حوله قائلا :

« سبحانك لا أحصى ثناء عليك ، اللهم كما تفضلت وفرجت الكرب عن عبيدك فوفقنى لشكرك » .

❋ ❋ ❋

٢١ — اغتابه مرة موظف كبير ، وأخذ ينقد ويتكلم فى الأولياء وكراماتهم وكان هذا الموظف هو والجمع الذى التف حوله فى طريقهم الى الشيخ ، فلما حضروا سلم عليهم الشيخ ثم أمسك بيد هذا الموظف وقال له : خير لك أن تعتزلنا — انك قد اغتبتنى الساعة وان الله يغضب على عباده ، وقد سبق أنى أنذرتك فلم تقبل ! فما رأيك فى كذا وكذا وأخذ الشيخ يعد له فى أمور تمس الموظف فأحرج وبكى ، وحسب للأولياء حسابهم ، وأخذ يجلس معهم ويجتمع بهم بأدب — ولقد سألت الشيخ رضى الله عنه كيف عرف هذا المغتاب ؟ فقال : من الله على بعلامة أتميز بها صاحب الغيبة . وهو أنه اذا وضع يده فى يدى أشعر بثقل كبير جدا فأعرف الغيبة بسهولة دون تكلف .

❋ ❋ ❋

٢٢ — كان اذا ذكر الله تعالى فى السحر يشعر من كان قلبه مؤهلا للوجل بأن الجدران تتمايل بصورة يعلمها الله تعالى طربا بذكره جل وعلا — خاصة عند اسمه تعالى « الوهاب » وقد شاهد ذلك بعض

الاخوان ، وأذكر منهم الأخ الحاج أحمد على النابى — وربما سكت رضى الله عنه حرصا على بعض الحاضرين من الجذب .

❋ ❋ ❋

٢٣ — اذا دخل بعض الناس وبينهم كافر عرفه دون أن يسأله وقد سألته رضى الله عنه فأجابنى بالآتى :

« ان المؤمن اذا دخل على رأيت نورا يخرج من جبهته متصلا بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام وكلما قوى الايمان ، كانت خيوط النور أكثر وأضوأ فاذا لم أجد نورا فى جبهة انسان أيقنت بكفره دون سؤال أو دليل .

٢٤ — أما اذا كان الزائر شريفا من آل البيت كان بعض خيوط النور ذا لون أخضر ، انها لعلامة أكرمنى الله بها فلا احتاج بعدها الى برهان أو بيان .

❋ ❋ ❋

٢٥ — وقد شاهدت من هذا اللون كرامات لا حصر لها وكثيرا ما كان يزورنا موظفون من محافظات بعيدة ولا صلة لنا بهؤلاء الموظفين من قبل فيسأل الشيخ واحدا منهم : أأنت شريف الأب أم الأم ، فيجيب الموظف اجابة مصحوبة بالدهشة ثم يذكر نسبه ، وربما قال له الشيخ رأيت جدك (فلان) ويسميه[1] ، فلا يسع المسئول الا الاعجاب والاعتراف بفضل الله تعالى — وانى لأحتفظ بأسماء الكثيرين ممن كان معهم هذا الحديث حبا فى النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته .

كان اذا مر بقرافة أخبر عن أهل قبورها وكثيرا ما يقول هذا من حملة القرآن الكريم وذلك كان فى حياته كثير الحياء من الله تعالى . وآخر غريب من بلدة كذا ومر بهذه الناحية فتوفى فيها ودفن بقرافتها ويسمى من ذكرهم ويحدد السنة التى انتقلوا اليها وعمر كل منهم

(١) حدث هذا معى فقد سمى لى الشيخ رحمه الله جدتى الكبرى ، ام جدى والد والدتى وذكر نسبها الحسنى الادريسى ، وقال « انها منا ، فانت منا » وقص لى عن أجدادى بنجع الزوايدية بادفو ولم أكن اعرفه اطلاقا وبعضها كان قد مر عليه نحو مائتى عام .

يوم الوفاة — ويؤكد ذلك أهل الجهة الأحياء معترفين بصحة ما قاله الشيخ دون مجاملة أو مجادلة ولو أردت أن أذكر ما شاهدناه لاحتجنا الى وقت طويل .

٢٦ — واذا توجه فضيلته الى بلدة ما ، أخبر عن أهلها الذين انتقلوا الى الآخرة ، وفى طليعتهم الأولياء — واذا سلم عليه أحد ممن تربطهم صلة قرابة ببعض أولياء هذه الجهة تحدث عن هذه الصلة وعن قرابة الولى بالنسبة لهذا الزائر ويذكر كرامات لهـذا الولى حينما كان فى الدنيا وربما أدرك هذه الكرامات كثير من أهل القرية أو المدينة وقد كان رضى الله عنه مرة ببلدتنا « الحطارة » فقال : ان أهـل القرافة فرحون الليلة لأن رجلا من أهل البلدة فى حالة احتضار وسيصل اليهم وقد حدد سنه ووصف هيئته فعرف الحاضرون وقد توفى فعلا .

* * *

٢٧ — وفى الليلة نفسها وصف لأخى الشيخ محمود خليفة والده الذى توفى من عشرات السنين ولا ريب فى كل ما ذكره .

٢٨ — دخل علينا مرة رجل من القرشية وهى بلدة بالقرب من طنطا، فأخبره الشيخ بأن فلانا جاركم فى حال احتضار — وبعد فترة أخبره أنه توفى ، وقد صح ذلك .

٢٩ — كان فضيلته بالكلح مركز ادفـو واذا بالتعب يبـدو عليه فيتغير لونه ويمتنع عن الحديث مع الناس ويقول :

ان الشيخ عبد الظاهر أبو السمح أمام الحرم المكى فى حال احتضار، ان المرض اشتد ، انه فى النزع ، وبعد ساعة أخبر أنه توفى على الايمان والحمد لله وظهر نعيه فى الصحف بعد يوم أو يومين من هذه الكرامة.

٣٠ — زار مرة الشيخ يوسف أحمد العمارى وأولاده فى محلهم القريب من الطريق الذى تمر عليه السيارات بالقرب من منشاة الكرنك فقال : ان بهذه الحجرة وليا ممتازا وعلقت الكرامة بالأذهان فترة حتى حضر بالأقصر أستاذنا الرملى رضى الله عنه فدعاه أصحاب الضيافة المذكورة ، ولمـا وصل هناك أخبر عن الولى الذى أشار اليه الشيخ من قبل وحدد نفس الحجرة .

٣١ — سلم عليه بالأقصر الحاج بسطاوى عمـدة المواساة فنظر اليه الشيخ وحدثه عن جدته المتوفاة من عهد بعيد وعن اسمها فأقر ذلك العمدة ، ثم قال له : أكان باحدى عينها شىء ؟ قال : نعم كانت كريمة العين ، فتعجب العمدة من الوصف وطلب من الشيخ الفاتحة .

٣٢ — زارنا بالأقصر الأخ اسماعيل حسن الذى كان يعمل ببوليس الأقصر وهو من هلال مركز ادفو ، وبعد أن استقر فى الجلوس قال له الشيخ : هل رأيت بالحجرة نورا — قال : نعم ، وهل رأيت غيره ؟ قال : لا فقال له الشيخ : لقد زارنا الساعة الشيخ المغربى المدفون ببلدتكم ومعه أخوه المدفون بجدة ، وقد ذكر الشيخ أنه مضى على ولى الله المغربى ١٨٥ سنة وله بنـاحية هلال ذرية طيبـة وقد أقر الأخ اسماعيل كل ذلك .

٣٣ — وصف لى مرة والد أخى الحاج محمود محمـد عبد الله ، فكان الوصف كما هو لأننا أدركناه قبل وفاته ، كما ذكر فضيلته أنه توفى بالاسهال ، وذكر فى هذه الجلسة الكثيرين ممن عرفناهم ومن لم نعرفهم ، وقد حدد قبورهم وسرد من أحوالهم وسبب وفاتهم ولا مراء فى صحة كل ما اذكره رضى الله عنه لأنه ثابت مشاهد .

٣٤ — زرت مرة القطب الكبير الشيخ أبا الحجاج الأقصرى رضى الله عنه ونفعنا به وقد كان ذلك بصحبة أحد الأخوان ، فقال لى ذلك الأخ : ان الشيخ أبا الحجاج غير موجود فى برزخه ألا تعرفه لم خرج؟ فقلت : أنا لاأعرف شيئا عن ذلك ، وأخذ يكرر السؤال وأجيب : لاأعرف. فمكث مشغولا وعزم على أن يسأل الشيخ عنه ، فاجتمعنا به رضى الله عنه بعد زيارتنا الشيخ أبى الحجاج التى كانت الساعة الخامسـة والربع مساء ويعرض مهمته على الشيخ قال له : انكم زرتم الشيخ أبا الحجاج بعد السـاعة الخامسة مساء حيث كان بعيدروس جنوب البلاد اليمنية لأن ولى الله الشيخ العيدروس توفى الليـلة وقد حضر الشيخ أبو الحجاج وفاة هذا العالم الجليل رضى الله عنه .

٣٥ — ذكر الأستاذ محمود حسنين الصـعيدى الكلحى المقـرىء الشهير وعضو مجلس الأمة الآن بأنه كان يتلو القرآن الكريم فى قرية من قرى مركز ادفو وهى معروفة لسيادته وقبل توجهه الى هذه الجهة

سلم على الشيخ لأنه كان ببلدهم حينئذ ثم سافر ، بينما هو يقرأ ليلا على المنصة رأى الشيخ فى المجلس ، ولما أتم قراءته نزل من مكانه وذهب للشيخ وسلم عليه ثم التفت فلم يجده ، أما أحباب الشيخ وجميع من معه ببلدة صعايدة الكلح فقد لمسوا انصات الشيخ فترة وهو يقول : انى أسمع القرآن من الشيخ محمود ، وفى اليوم التالى حضر الشيخ محمود وذكر قصته فتبين أنها كانت فى الوقت الذى أنصت فيه الشيخ .

٣٦ — كان الأخ الشيخ محمد عبد الله أحمد بخيت ناظر مدرسة بالأقصر لا يميل الى المجاذيب كثيرا ، اما خوفا منهم أو بعدا عنهم ، وكان أحباب الشيخ ، فأرسل اليه أحد المجاذيب وهو (الشيخ على البلينى) فدخل على الأخ المذكور بمنزله عصرا فأضاءت الحجرة التى دخل فيها وليس بالبيت كهرباء وانما يضاء بمصباح عادى فدهش الناظر فقال له المجذوب ما هذا النور ؟ فأجابه لا أدرى ، ثم تغير النظام وعم البيت روائح عطرية غريبة وبالتالى سأله المجذوب من نشر هذه الروائح ؟ فكانت الاجابة الثانية كسابقتها ، ثم تركه المجذوب وانصرف ولما عرض الأخ أمره على الشيخ قال له لقد صدقت فيما رويت . أنا الذى أرسلت المجذوب كى يزداد ايمانك بهذه الطائفة وحتى توقن أن نور الولى لا يسعه بيتك ولا يعلمه على حقيقته الا صاحب العطاء ، واعلم أن المجذوب قطرة بجانب الولى فاحفظ نفسك معهم وزد فى محبتهم .

٣٧ — كان أحد أولادى لا يستطع السير على قدميه بعد سنوات فقال الشيخ ان وليا لله تعالى فى قرافة بلدكم وهو شريف مغربى يعتب عليكم ويقول انهم لا يزورونى زيارة خاصة مع أنى ممن تستجاب دعوتهم انهم لو حضروا بالطفل الذى لا يتحمل المشى لشفاه الله تعالى وحصلت بركة النبى صلى الله عليه وسلم — كان ذلك بالأقصر وقد تحدثنا تليفونيا مع الأخ الحاج عبد الله عبد المالك فأخذ الطفل وذهب به الى (ولى الله الشيخ يونس) رضى الله عنه ونفعنا به فمشى مشية عادية سليمة فى الأسبوع الذى تمت فيه الزيارة — وقد ذكر الشيخ من كرامات هذا الشريف وعلمه فى حياته وصلته بالله تعالى ما يزيد حبا وتقديرا لأحبابه وأوليائه وخاصته .

٣٨ — أستعرت مرة الكتاب المشهور « ابن عجيبة فى شرح » حكم ابن عطاء الله رضى الله عنهما » ووضعته فى نافذة بالحجرة مع غيره من الكتب ، ولما حضر الشيخ الى البيت قال : ما بال ابن عجيبة فى بيتنا ؟ فقلت له كتابه هنا .

٣٩ — ما دخل علينا رجل عاق لوالده أو والدته الا وتحدث الشيخ فى وجوب طاعة الوالدين ، وربما حدد هذا العاق ونصحه كثيرا — وشرح له فضائل بر الآباء والأمهات وقد سألته رضى الله عنه عن سر ذلك فقال : يصور الله تعالى يده أثناء سلامه على بأنها قصيرة وهذه علامة من الله بها على لمعرفة هؤلاء العاقين .

٤٠ — حضر عنده أحد العلماء ، وبعد أن سلم عليه وتحدث معه فى شئون متنوعة عرض عليه أمرا حيث قال له : انى أرى والدى فى النوم معرضا عنى بصورة أتألم منها فى اليقظة كثيرا — فقال له الشيخ : انك عاق لرحم والدك ، فقال العالم : نعم ، ان الصلة مع عمتى وهى أخت والدى تكاد تكون مفقودة ، ثم قام العالم من جلسته واشترى ملابس لعمته ووضعها فى طرد وأرسلها اليها بالبريد ، وبينما كان الطرد فى طريقه الى الوجه البحرى . نام الأستاذ فرأى والده فى النوم ومعه دابة مسرجة وملجمة ، قدمها لابنه وقال له : يا بنى انك تتعب فى سفرك وهذه مطية مريحة خذها لتعينك فى مهمتك ثم دعا له . فاستيقظ العالم فرحا مسرورا وحضر الى الشيخ ليقص عليه الرؤيا فدعا له أيضا وقال له : عليك بها فرضاؤها هو عين رضى والدك ومن علامة طاعة الوالد، عدم قطع الصلة بأصحابه وأحبابه فكيف برحمه .

٤١ — حضر بالأقصر مرة فضيلة الأستاذ الشيخ ناجى وهو أحد علماء معهد قنا الدينى — وقد سمع بشيخنا كثيرا فأراد أن يتحقق ، فلما سلم على الشيخ عاونه فى الجلوس وعمل على راحته لأنه « ضرير » ولما استقر فى جلوسه همس الشيخ فى أذنه ، وذكر له كرامة حدثت له عند السيد البدوى فى طنطا من زمن قديم ، وهى من الأمور التى كان يكتمها الشيخ ناجى ولا يذكرها لأحد واذا به يرفع صوته الله أكبر ، الله أكبر وخرج فضيلته وهو فى صفاء روحى جميل .

٤٢ — حدثنا بالتليفون ضابط كبير وقال : سأحضر عندكم الآن ، وكان حديثه مع أخى الشيخ مصطفى فقال له : تفضل . وأخبره أن

الشيخ موجود ، ولما علم الشيخ به سأل الله تعالى الا يجمعه به اليوم ، وبعد ساعة تحدث الضابط ثانية وقال : لقد حضرت عندكم وبحثت عن البيت كثيرا فلم أعرفه — علما بأنه زارنا غير مرة ولا يخفى البيت على أحد ممن ترددوا عليه لأنه فى شارع عام .

٤٣ — حضر عندنا بعد المغرب الأخ اسماعيل حسن فقال له الشيخ : انك حاضر من زيارة الشيخ الى الحجاج الأقصرى فقال : نعم، ثم قال له : لقد رفع مصلحتك الى الله تعالى ، وذكر له الشيخ نفس المصلحة وحددها ، وسأل الله تعالى قضاءها . فأقر الأخ اسماعيل ما ذكره الشيخ وما ذكره عند زيارته للشيخ أبى الحجاج رضى الله عنه .

٤٤ — استشاره الأخ اسماعيل حسن فى زواج بنته ، وقبل أن يذكر له أسماء الأشخاص الذين طلبوا الزواج منها ، قال له الشيخ لقد طلبها منك شابان وسماهما له ، ثم قال : زوجها الى فلان لأنه رجل صالح وقد تم ذلك بمشيئة الله تعالى .

٤٥ — ذهبنا الى المنيا لزيارة أستاذنا الرملى رضى الله عنه وبعد انتهاء الزيارة قصدنا مصلى كبيرا بالقرب من المحطة لصلاة العشاء ، كما قصدها كثير غيرنا ، واجتمع بها عدد كبير من المصلين ، ولما حان وقت الصلاة قام الامام الراتب لهذه المصلى وهو من العلماء . وأخذ يمر بين الصفوف حتى وصل الى الشيخ وقال له : صل بنا العشاء فقام الشيخ دون تردد فعجب الناس للشيخين .

علما بأنه لم يسبق لهما اجتماع أو معرفة والغرابة فى أن المصلى بها كثير من العلماء الذين كانوا جلوسا بالقرب من الامام وأن الشيخ كان فى الوسط ، والعادة المتبعة فى الغالب أن الامام الراتب يصلى دون أن يخلف أحدا — ولما سألت الشيخ رضى الله عنه — أخبرنى أن امام المصلى من العارفين بالله تعالى .

٤٦ — ذهبت مع فضيلته يوما الى أرمنت ، وقصدنا المسجد لصلاة الظهر ، فوجدنا باب المسجد مقفلا ، ولم يحضر العامل الخاص بفتحه — فوقفنا بالقرب من المسجد حتى يحضر العامل وفى هذه الفترة حضر

مجذوب وسلم علينا ثم قال لى : أعطنى لله فأعطيته ما يسر الله به ولكنى رأيت الشيخ ينظر اليه نظرة غير عادية واذا بالمجذوب يقول له : انك ضيف وأنا صاحب بلد ، وأنا لا آخذ من الضيوف ، وأخذ يعتذر ، ثم قال له الشيخ : ان الفراش تأخر فى فتح المسجد فهرول المجذوب نحو الباب وقبل أن تمس يده « الضلفة » فتح على مصراعيه دون مفتاح .

٤٧ — كان « بالخطارة » يوما وطلب حلاقا ، وبعد أن قام الحلاق بمهمته وتناول أجره أعطاه الشيخ قطعة من السكر ، فأخذ بعض الاخوان جزءا منها ثم ناولها الحلاق لابنه فوضعها فى جيبه واذا بهما يجدانها قطعة من الطوب اللبن .

٤٨ — تنازع فضيلته مرة مع فاكهى بالأقصر وكان شهر رمضان حينئذ وكانت حال الشيخ غير طبيعية ، فلما اجتمع الناس قال لهم : انه غير صائم مع أنه معافى من الأمراض صحيح الجسم واذا برجل ينظر بصورة خفية فيبصر موقد كحول صغير يخفيه الفكهانى وعليه (كنكة) صغيرة يغلى فيها الشاى خلسه فدهش الناس وبهت الرجل.

٤٩ — كان رضى الله عنه ببلدتنا فقدم غلام صغير مصاب بنوبات عصبية تعاوده النوبة فى اليوم عشرات المرات وكانت حال الصبى مؤلمة جدا ، فدعا له الشيخ وطلب من الحاضرين قراءة الفاتحة ، وأراد الرجل أن يطمئن أكثر فبات فى الجهة التى أقام فيها الشيخ — وكان الشيخ لمس من بعض الناس عدم ايمانهم بشفاء هذا المريض لشدة ما به فأخذ رضى الله عنه يحلف ويكرر القسم معلنا المريض شفاه الله ولن يعود اليه هذا المرض ، وانتظر والده فترة طويلة فلم ير سوءا على ولده ، ففرح وعاد بابنه شاكرا الله تعالى مؤمنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » .

٥٠ — دخل عليه رجل وبعد أن سلم على فضيلته قدم للشيخ مبلغا وقال له : انه هدية فقام الشيخ وأخذ ينهر الرجل ويزجره ثم قال له يا مجرم ارجع وسلم المبلغ للمرأة المسكينة التى سرقت نعمتها ، فخجل المسكين واعترف بذنبه ووعد أنه يتوب ولا يفعل مثل هذا .

٥١ — قال الحاج صالح « من البياضية » وهو من أعز أحباب الشيخ وحجا معا سنة ١٩٤٧ ولما اشتد عليه المرض ، جاءه الشيخ وأخبره : انه رأى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وقال له : ان الحاج صالح يشفى من هذا المرض ولا يموت فيه وقد عاش الحاج صالح بعد شفائه زمنا طويلا .

٥٢ — حضر عند الأخ اسماعيل حسن وكان يبدو عليه أنه مشغول فى أمر يهمه ولما سأله الشيخ عن السبب قال : ان له بمستشفى الأقصر أخا يدعى هريدى حسن — اشتد عليه المرض ويخشى أنه يموت فيتعب نظرا لبعد المسافة بين الأقصر وبلدته هلال وبالنسبة للمتاعب التى تصادف الانسان فى مثل هذه الظروف فقال الشيخ : لقد بقى من عمر أخيك عشرون سنة — اذهب اليه وبشره بالشفاء وقل له ما قلته لك ولا تخف من نقد الناس ، وما علمته من أبى وأمى ، ولكن الهمنى بذلك علام الغيوب وقد ذهب الأخ اسماعيل الى أخيه بالمستشفى وأخبره بما قال الشيخ فظهرت عليه علامات الشفاء والعافية وخرج من المستشفى ، وكل عام يمضى يحسبه وهو الآن فى خوف فقد ذهب الكثير وبقى القليل .

٥٣ — وفى يوم ما ظهر على الأخ الشيخ مصطفى محمود مزيد من التأثر الشديد — ولما سأله الشيخ قال : أن أهل بيته مرضى ويخشى التعب عاجلا وآجلا فحلف له الشيخ أنها لا تموت فى هذا المرض وأخذ الشيخ يكرر القسم حتى بدأ على الشيخ مصطفى السرور وبعد يوم واحد تم الشفاء والآن بخير وفى خير .

٥٤ — كنا مع الشيخ بالقرب من محطة خزام ومعنا الأخ الشيخ محمد عبد الله أحمد بخيت ولم يسبق للشيخ اجتماع بوالده فأخذ الشيخ يصفه له ويحدثه عن هيئته وملبسه وعن جميع أحواله ، وقد كان الوصف مطابقا للواقع تماما .

٥٥ — فى ليلة ما بوجود بعض الاخوان بالأقصر — كانت حال الشيخ غير طبيعية وبعد فترة تحدث فيها فضيلته باللغة السريانية ، وهدأت حاله ، قال :

ان شيخ الأزهر انتهى الليلة وعين بعده الشيخ عبد المجيد سليم واذا بالمذياع يذيع صباحا كل ما ذكره الشيخ مساء .

٥٦ — زرنا رجلا من أعيان البلاد كان بعيادة أحد أطباء الأقصر وقد وجدناه مغطى بغطاء كبير من الحرير السبيدونى وبعد أن سلمنا عليه ، قال الشيخ رضى الله عنه :

كم ثمن هذا الشال ؟ فقال الرجل : ثمانمائة قرش وبعد ربع ساعة تقريبا كرر عليه الشيخ السؤال .

كم ثمنه حقا ؟ فقال : سبعمائة قرش ، ثم اتجه الشيخ رضى الله عنه الى قائلا : ان هذا الغطاء يقول : انه مسروق ، وبعد فترة من الحديث قال صاحبه : أنا اشتريته من فلان ببلدنا ، فأجابه الشيخ ، سلمته ثمنه ، قال الرجل : كان لى عنده مبلغ وأخذته منه سدادا خلاصا لحقى ، فقال الشيخ رضى الله عنه : يجب عليك أن تتحرى فى بيعك وشرائك ، فالبائع غير أمين ، ولا يكون عدم شرائك الشال بالنقد سببا فى استيلائك عليه ، فأذعن الرجل لكلام الشيخ رضى الله عنه حتى لا يقع فى الخطأ مرة أخرى ، وقد كان أحد أهالى الرجل المريض موجودا فأقر كل ما ذكره الشيخ واعترف بأن الوصف الذى ذكره فى البائع كما هو .

٥٧ — جلس موظف بجوار الشيخ رضى الله عنه فى مصر فقال له رضى الله عنه : انى أرى يدا وضعت فى هذه اللحظة على أذنك فهل بها مرض ؟ قال : نعم ولقد صادفت هذه الكلمة بغيته فطلب من الشيخ أن يقرأ له عليها ، وقد تم الشفاء باذن الله تعالى .

٥٨ — زارنا ونحن بالأقصر رجل من المريس « احدى قرى مركز أرمنت » فقال له الشيخ : لعلك حضرت بعد زيارتك للسيد أبى الحجاج رضى الله عنه فقال : زرته الساعة وهناك ذكرت عنده مصلحة تشغلنى ، وسألت الله قضاءها فقال الشيخ رضى الله عنه انى أرى الشيخ أبا الحجاج يطوف بيده حول رأسك ويقرأ قول الله تعالى :

« والله يعصمك من الناس » وانها بشرى بخصوص قضيتك ، وقد قضيت والحمد لله .

٥٩ — تناقش بعض العلماء مع الشيخ رضى الله عنه يوما بشأن الأحاديث الواردة فى الأقطاب ، والأنجاب ، والاوتاد والابدال ، وهل هذا صحيح ؟ فأجابه الشيخ رضى الله عنه بصحة ذلك وطال الحديث والكشف فى كتاب الحاوى للفتاوى للسيوطى واذا بنور ظهر نهارا فقيل : ما هذا ؟ فأجاب الشيخ رضى الله عنه : انه نور الأقطاب الذين يتجادلون فى صحة وجودهم ، لقد حضروا ليشاهدوا دفاعنا عنهم .

٦٠ — كنت مريضا مرة فقال لى رضى الله عنه : ان حضرة النبى صلى الله عليه وسلم أخبره أن شفائى سيتم بعد عشرة دقائق ، وقد تم ذلك دون زيادة أو نقص وخرج المرض بصورة يعلمها الله .

٦١ — زارنا مرة عمدة المواساة مركز ادفو الحاج بسطاوى وكان بصحبته رجل من الأعيان ببلدته ، يبدو أن جلوسه مع العلماء والأولياء قليل ، وقد أدركت ذلك من رؤيتى له جلسته ، واذا بالشيخ يتجه نحوه ويقول له : هل زوجتك اسمها فاطمة ؟ فخجل الرجل وجلس معتدلا ثم أخذ الشيخ يصفها له والرجل يزداد خجلا وأخيرا قال له : لا تظن أننى ممن ينظرون الى النساء — ان الروح ترى ولا شىء عليها ، وانى أنظر الآن من هنا « فى مدينة الأقصر » الى بيتكم بالمواساة فأرى زوجتك مريضة ووالدتك تسندها وتعمل على راحتها وتقدم لها مشروب « حلف البر » فقال الرجل : انها مريضة ، وقد حضرت الى هنا وأنا مشغول عليها فقال الشيخ : لا تخف سأحضرها وأقرأ عليها ما تيسر وستشفى باذن الله ، فأخذ الرجل يقلب نظره فى الحجرة ليراها ، فقال له الشيخ رضى الله عنه ، لا تراها ببصرك هذا ثم مد يده وقرأ لحظة وبشر بأنها شفيت والحمد لله ، وفى اليوم التالى توجه الرجل الى بلده ، ودخل بيته فوجد زوجته بصحة طيبة وأخبرته بأنها شعرت بالأمس بخفة فى جسمها وحددت له الساعة التى شعرت فيها بالراحة فكانت موافقة للوقت الذى قرأ فيه الشيخ رضى الله عنه بالحجرة بالأقصر كما أخبرته أن الراحة أخذت تزداد حتى تم الشفاء فى زمن يسير .

٦٢ — كان فى الخطارة مركز قوص مدرس يدعى الشيخ على الرفاعى من منشية سلطان بالمنوفية — اجتمع يوما بالشيخ رضى الله عنه فقال له : كيف حال المجذوبة المسماه « أمونه » عندكم فدهش المدرس لأن الشيخ لم يذهب الى بلده من قبل ، وأخذ الشيخ يصفها له ويشرح

له حال الأطفال معها كما هى العادة مع بعض المجاذيب فأقر الشيخ على ما ذكره الشيخ رضى الله عنه .

٦٣ — بعد حديث الشيخ رضى الله عنه مع المدرس المذكور بشأن المجذوبة المذكورة ، قال له : وما حال الشيخ محمد أبو حسين ، فتعجب الشيخ على الرفاعى لأن الرجل معروف عنده وممن ترجى بركتهم ، ثم قال له شيخنا رضى الله عنه ، انه على حال عظيم مع الله تعالى فعليك به ، واطلب منه الدعوات لأنه رجل مبارك .

٦٤ — دخل علينا مرة الأخ اسماعيل حسن وبيده مظروف بداخله خطاب فقال الشيخ الى من تطلب ارسال هذا الخطاب ؟ فقال : الى رجل موظف بقلم محضرى القاهرة ، وهو متهم فى قضية ، وموقوف عن عمله ، فقال له الشيخ : افتح هذا الخطاب ، وقل له : ان قضيتك براءة على شرط أنه يصلى ويواظب على الصلوات فى مواقيتها ، وقد نفذ الرجل الوصية ، ونجحت القضية .

٦٥ — زارنا رجلان يحترفان كتابة الحجب مع أنهما موظفان وليس لهما بالشيخ صلة الا أن كثيرا من الحاضرين على علم بحالهما — واذا بالشيخ رضى الله عنه يقول :

ان بعض المحترفين يكتبون الحجب بدم العصافير أو غيرها وقد يستحلون الكتابة بمادة نجسة ، ألا يقدرون اسم الله تعالى ؟ ألا يستحيون ؟ وكيف تعطى ورقة بين طياتها اسم الله تعالى لانسان جهول أو لأمرأة عاهرة تعيش على الحب والكراهة ولقد تعب الموظفان لأن العيون كانت ترمقهما بنظرات كلها سخرية ، وقاما متأثرين ، ولم يرحبا لوضعهما .

٦٦ — قررت الوزارة مرة مصاريف على طلبة المدارس الثانوية وطلب من الأخ الشيخ مصطفى محمود أحد عشر جنيها قيمة المطلوب من ولديه محمود والطيب ، ولكن شيخنا رضى الله عنه حلف لا يدفعان مليما واحدا — واذا بالصحف تعلق تنازل الحكومة عن هذا القدر المطلوب من جميع الطلبة .

٦٧ — قام الشيخ رضى الله عنه من طوخ الى قوص ومنها الى العليقات ثم الى قفط ومعه بعض الاخوان وكلما مر ببلدة استأذنت أهلها فى احضار غذاء فلم يقبل وبعد خروجهم من العليقات قال للاخوان سنأكل فى قفط وحدد المكان والطعام ولما وصلوا الى المكان الذى عرفه الشيخ أحضر أهله الاصناف التى حددها الشيخ وكأنهم على ميعاد ٠

٦٨ — كنا فى بيت الاستاذ يوسف ادريس مفتش التربية والتعليم بالاقصر فنظر اليه الشيخ وقال : لقد ألهمت أنك أكرمت برؤية النبى صلى الله عليه وسلم وأنت شاب فما بالك لا تكرم بها فى كبرك ، فدهش المفتش لأنه كان يكتم هذه الرؤيا ، وقال ان الله فتح على ويسر لى سبل التعليم بعد هذه الرؤيا ولم أر مثلها فعلا ذلك ولا شك أنها كانت أجمل شىء فى حياتى ٠

٦٩ — زار فضيلة الشيخ رضى الله عنه رجل عالم يوم جمعة فأمره الشيخ بأن يصلى بنا الجمعة فاستجاب العالم وصلى ٠ وبعدها أمسك بيد الشيخ هو ورجل آخر وقبل أن يخرجوا من المسجد التفت الشيخ الى العالم وزجره بشدة قائلا : ابعد عنى لا تمسكنى وكيف تعاوننى وقلبك مشغول بحذائك ٠ فاستولت الدهشة على العالم وعرف وصدق جميع الكلمات التى ذكرها الشيخ رضى الله عنه ٠

٧٠ — أحمد السنغالى رجل محب للعلم والعلماء ، جاء من السنغال الفرنسى باذن من شيخه الصوفى سياحة فى حب الله ولعل شيخه عرف أن تنقله يفيد فى نفسه حالا ومقالا وكانت لديه قاعدة اذا مر مجلس يقول « فيه أو ما فيه » فاذا سمع هاتفا يجيبه بلفظ فيه عرف بأن بالمجلس وليا لله تعالى فيجلس مع الناس ويتحدث معهم ٠ واذا سمع الهاتف ما فيه سار الى حاله فلا يجلس ولا يتحدث مع أحد ، وفى يوم ما مر باحدى القرى ، وكان شيخنا رضى الله عنه بهذه القرية ومعه كثير من الأحباب ، ومر السائح السنغالى فلما قرب من المجلس وقال فى نفسه « فيه » تصدى له الشيخ رضى الله عنه وقال له : فيه رغم أنفك وقف مكانك ، وأمسك به وأجلسه بجوارك فأذعن السنغالى ولازم الشيخ زمنا طويلا ٠

٧١ — فى يوم ما أخذ شيخنا رضى الله عنه يتحدث مع السنغالى عن شيخه بالسودان وعن أحواله ، فلما ذكر له الشيخ رضى الله عنه

أولاده « أى أولاد شيخه » ومنهم أبو بكر وفاطمة حن الى لقائهم وبكى كثيرا ٠

٧٢ — كان رضى الله عنه مرة بالمريس عند أحد الاخوان وهو الحاج أبو الوفا ، وكان بعض السادة المدرسين بضيافته وفى الصباح قاموا يغسلون وجوههم بعد صلاة الصبح غير أنهم بالغوا فى ارغاء الصابون بصورة تلفت النظر فتأثر المضيف من هذا الوضع ، وربما حدثته نفسه ان هذا الاجراء لو كان فى غير بيته لنصحهم وكان الشيخ نائما وعليه غطاء فرفعه بسرعة قائلا : لو عرف الناس ان رغوة الصابون الذى يستعمله الضيف توزن يوم القيامة لبالغوا فى اكرامه وما نقدوه — آه لو أدركت عيون القلوب ذلك ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ٠

٧٣ — فى ليلة ما لدغت عقرب زوجة الأخ الحاج أبو الوفا بالمريس وكان الشيخ مقيما عنده فلما علم بذلك ، نادى على الأخ الحاج أبو الوفا ، وقال له ، أتعرف فى أى أصبع لدغتها العقرب ، قال : نعم ، ولما حدده أمسك الشيخ رضى الله عنه باصبع الحاج أبو الوفا وقرأ عليه كلمات يسيرة ثم قال : اذهب اليها فدخل ، ورجع قائلا : انها شفيت تماما وكانت عادة الشيخ هكذا ٠ اذا لدغت امرأة قرأ على رجل فتشفى هى باذن الله ، ولا يرضى أبدا بوضع يد أى انسان على أجنبية بحجة أنها مريضة وأنه يتلو على موضع اللدغ أو الاصابة آيات من القرآن الكريم أو غيره ، ويعتبر ذلك جهلا أو نقصا أو خيانة ٠

٧٤ — سافر مرة من مصر الى الاقصر ، وكان معه بعض الاحباب وفى الطريق اشتد به العطش ٠ ولم يجدوا ماء فى القطار وفى احدى المحطات نزل فضيلته رضى الله عنه بسرعة وفى دقيقتين أو أقل احضر لهم قلتين مملوءتين بالماء ، وكان ذلك بعد نصف الليل فقيل له :

من أين هذا ؟ فقال : من الله ٠ فشرب القوم وشكروا الله تعالى ٠

٧٥ — تعطل وابور مياه الاقصر ليلة ما وتعذر الحصول على الماء الا من النيل ، وفى هذه الليلة حضر كثير من الاخوان وتحدثوا فى هذا الشأن فقال أحدهم : سمعنا أن المياه ستصل الساعة الثانية عشرة ليلا ، وقال غيره : ان تصليح الوابور سيستمر يومين ، وكان ذلك فى تمام الساعة الثامنة مساء فقال رضى الله عنه : ان الماء سيرد فى تمام الساعة التاسعة

أى بعد ساعة من هذا الحديث ، فانتظر القوم حتى يتـأكدوا • واذا بالماء ينزل من الصنبور فى الميعاد المذكور دون نقص أو زيادة ، وخرج الناس وشكروا المنعم المتفضل •

٧٦ — فى احدى الليالى زارنا الأخ اسماعيل حسن فقال الشيخ رضى الله عنه : ان سيدنا الخضر عاتب عليك فى مصلحتين •

الأولى كانت عصر هذا اليوم حينما كنت سائرا فى الشارع فأحدث أمامك خطا من النور فصرخت فهل يصح ذلك من عبد مراقب لربـه وهل لو تحققنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم « اعبد الله كأنك تراه » يرى الانسان غير خالقه : انه يقول لك لا تفعل مثل ذلك فأقره الأخ اسـماعيل حسن بذلك وأكد حدوث هذا النور أمامه وهـو يمشى نهـارا •

٧٧ — أما المصلحة الثانية ، أى العتاب الثانى ، فقد كنت فى قهوة محطة الأقصر ، ودخل رجل ضرير يقوده طفل صغير يطلب من الناس عطاء فز جرته وطردته من القهوة حتى لا يضايق الناس — انه حضر لاكرامهم لا ليضايقهم حتى يكون لمن لا يعرفون الاحسان صـدقة عند الله • واعلم يا أخى ان الرجل الذى شاهدته هو سيدنا الخضر ، ولعلك تذكر قول الله تعالى : « وما فعلته عن أمرى » •

٧٨ — كنا فى ادفو فى عزبة العواضلاب • ومكثنا عنـدهم حتى المساء والقطار عادة يصل الساعة الثامنة مساء وكان الاخوان فى قلق خشية الا يصلوا فى الميعاد بالنسبة للمعادى بين الغـرب والشرق ، فقال لهم الشيخ رضى الله عنه القلق والاقتراح ممنوع ، ويجب ألا تشغلوا قلوبكم بالقطار والسفر ، ولعل الله ألهمنا بأننا سنصـل بعد المواعيد الرسمية ولكن سفرنا سيكون فى القطار نفسه فلزم الجميـع الأدب ، وصلنا قبل حضور القطار بثلث ساعة والحمد لله •

٧٩ — كنت مريضا فى يوم ما ، ولما اشتد على المرض أرسل فضيلته للطبيب فحضر ووصف لى العلاج ، وبعد خروجه قال لى الشيخ رضى الله عنه : انى مشفق كثيرا على الطبيب الذى عالجك ، وقد عرفت فيه مرضا صعبا وبعد زمن غير بعيد توفى هذا الطبيب •

٨٠ — كان السيد / محمد الطيب مصطفى فى رحلة الى قنا ولما حضر من الرحلة مساء دخل على الشيخ فقال له رضى الله عنه : لم تشاجرت مع الرجل فى القطار ؟ فقال له : انه أخطأ وعاب على وتبين أنه تنازع مع رجل فى القطار حقيقة •

٨١ — كثيرا ما يطرق الباب ، فيقول الشيخ رضى اله عنه : افتحوا الى فلان ويسميه ، واذا بالشخص نفسه يدخل علينا •

٨٢ — نقل قاضى محكمة الاقصر الشرعية الى محكمة أخرى وكان له بالشيخ صلة ، واتفق زملاء القاضى وأصدقاؤه على تكريمه ، واقامة حفل له وقبل الحفل بيوم قال له الشيخ رضى الله عنه : انك لا تنتظر بالاقصر ولابد من سفرك اليوم فأذعن لقول الشيخ وسافر • ولما وصل الى بلده أفاد بأن سفره كان ضروريا وقد حصلت بركة من ينظرون بنور الله وقد أمر لى الشيخ مرة بأن القاضى المذكور من الأولياء •

٨٣ — كان رضى الله عنه يسير أحيانا ومعه مقطف وقد يحـوى كثيرا من الورق والأقلام والجوارب وقطع البوص وغـيرها من ألوان متعددة قد يظنها بعض الناس أن لا حاجة له بها • نظـر شخص فى المقطف وقال له : ما شأنك بكل هذا ؟ ولم تتعب نفسك فى حمله ؟ فقال رضى الله عنه : أيها أتعب حمل هذا المقطف الخفيف أم حمل الفدانين اللذين اغتصبتهما من أخيك فقال : نتفق اعدل وأعد الفدانين لأخيك وأنا لا أحمل هذا فبهت الظالم •

٨٤ — كان رضى الله عنه يجيب دعوة كثير من الناس فيأكل من طعامهم ويدعو لهم ولما سألته رضى الله عنه عن ظلم بعضهم وجمعهم المـال من الحرام • كشف لى عن لسانه وقال : اننا نلبى دعوتهم ونخالطهم ونسأل الله أن يتوب عليهم واذا بى أجد لسانه ملء فمه وقال : انهـا لعلاقة خصنى الله بها ، فكنت اعرف طعام هذا من ذاك بهذه الكرامة أى كلما أكل طعام ظالم ورم لسانه فلم يذقه •

٨٥ — كان أخى الشيخ مصطفى ناظر المدرسة الابتـدائية وكان يقوم بصرف مرتبات المدرسين فى بيته ، والشيخ مقيم به حينئذ فكان رضى الله عنه يخشى على بعض المدرسين مرض النفوس فيخرج من جيوبه اعدادا كثيرة من الأوراق المالية ، ويأخذ وقتا غير قصير فى عدها

حتى لا تتغير قلوب الموظفين ويعتقدون أن الشيخ فى حاجة الى مالهم الضئيل .

٨٦ – اتفق الشيخ مصطفى محمود وبعض الاخوان مع فضيلة الشيخ رضى الله عنه وعزموا على زيارته بالبغدادى غير أن واحدا منهم منعهم من الزيارة ، وكانت حجته عدم تكليف الشيخ ويبدو أن النية كانت غير ذلك ، فلما عاد الشيخ من البغدادى تحدث مع الشيخ مصطفى محمود عن سبب خلف الوعد . فأجاب : بأن فلانا كان سببا مانعا وادعى أنه مشفق على فضيلتكم . واذا بالشيخ يخرج من جيبه مالا كثيرا ويعرضه أمام الشيخ مصطفى بصورة غير عادية حتى ملأ حصيرا كان فى الحجرة ، ولما قام الشيخ مصطفى ليجمع هذا المال ويعيده للشيخ عاهده أن يجمع ولا يعد .

٨٧ – رأى رضى الله عنه يوما فى النوم السيد البدوى رضى الله عنه يقول له : جل فى شوارع الأقصر . فخرج الشيخ رضى الله عنه واذا به يجد طالب علم من شنقيط عاد من الاقطار الحجازية ولا مال معه ويرغب فى السفر الى أهله وبلده ، فأعطاه الشيخ ما يكفيه وأمره بالسفر الى الاسكندرية ومنها الى شنقيط .

٨٨ – كثيرا ما كانت حشرة البق تدخل الحجرة التى ننام فيها وكنا نستقذرها فى كل مكان ولكنها لا تقرب من فراش الشيخ ، وقد قال لى مرة : لو كان الفراش كله من هذه الحشرة ما وصل الى ضررها .

٨٩ – لدغت عقرب سيدة فعولجت ولكن الألم لازمها يومين كاملين فلما قيل للشيخ رضى الله عنه ، أجاب بأن العقرب تركت شوكتها بعد اللسع فلم تسترح المريضة الا بعد اخراج الشوكة منها .

٩٠ – زاره رضى الله عنه قوم معهم امرأة أصيبت بالجنون وقالوا انها مرضت فترة فلم تصح من مرضها الا وقد غاب عقلها فقال الشيخ رضى الله عنه : انى أرى سكينة صوبت اليها داخل حجرة مظلمة ولا شك أنها سبب جنونها فأقروا بذلك تماما .

٩١ – كان الاخ سليمان أحمد عبد الرحيم من الخطارة مدرسا بقرية تدعى الزوايدة وكان يسافر اليها يوميا بدابته ، وقبل خروجى الى عملى بالاقصر قال لى رضى الله عنه :

ان الشيخ سليمان فى طريقه الآن ، ولقد وقع به حماره فأطال الله يدى حتى ساعدته ولم يصب بسوء وحدد لى المكان علما بأن المسافة بين الاقصر والزوايدة فى حدود ٤٠ كيلومتر .

٩٢ – كان المرحوم الحاج حسن أحمد سليمان بالخطارة ناظر مدرسة ابتدائية ولم ير الشيخ ولكنه سمع به غير أنى كنت أحدث الشيخ عنه واذا بفضيلته يصفه لى تماما دون سابق معرفة وكأنه على صلة تامة به .

٩٣ – كان مرة بالخطارة رضى الله عنه عند الاخ الحاج سليمان أحمد عبد الرحيم ولما علم به شيخ خفراء الناحية توجه الى محل الضيافة ليحظى بالسلام عليه ومعه أحد الخفراء وقبل وصولهما الى المجلس بثلثمائة متر تقريبا وجدا الشيخ رضى الله عنه بالقرب من شجرة فسلما عليه ثم سارا وراءه حيث المجلس ، وهناك وجدا الشيخ فى صدر المجلس والتفتا فلم يجدا من سلم عليهما أولا .

٩٤ – كنا اذا مشينا فى طريق وعوى كلب قال له : الله أكبر فلا يعوى بعدها .

٩٥ – اذا حل رضى الله عنه بمجلس اقبل المجاذيب ألوانا من كل فج وينادونه : يا أبى . وكان يذكر لى رضى الله عنه مقارنة بين المجذوب والمجنون ، وأراد مرة تأكيد ذلك أمامى فأخذ ينشد ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم واذا بالمجذوب الصادق ينزل الى الارض ويجلس عليها فقال : هذه بعض صفاتهم .

٩٦ – كان رضى الله عنه اذا دخل عنده مريض يخفى مرضه ، قال الشيخ للمريض ، ان بى ألما فى الجنب أو فى الامعاء الغليظة مثلا أو فى يدى أو رجلى ، ويقول له اقرأ على ويحدد له مكانا خاصا هو عبارة عن موضع العلة التى يشكو منها المريض واذا قرأ شفى باذن الله تعالى ، ورجع المريض الى بلده وداره معافى .

٩٧ – نزل الشيخ ضيفا عند بعض المحبين ، ولما أقبل الناس وكثر استعمال الشاى وغيره قال من فى البيت :

فقد تموين السكر الذى صرفناه اليوم،واذا بالشيخ يلقى دروسا فى قول الله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » •

٩٨ ـ سافر مرة الى القاهرة : فلما خرج من المحطة ركب « عربة حنطور » وقال للسائق : الى السيدة نفيسة « رضى الله عنها » وفى الطريق أوقف العربة رجل وأخرج من جيبه نقودا وأعطاها لصاحب العربة وقال له • لا تأخذ أجرا من الشيخ ، وصل أستاذنا رضى الله عنه مقام السيدة نفيسة رضى الله عنها واذا برجل يسلمه مبلغا قيما فيتناوله الشيخ ويعود الى المحطة مرة أخرى ومنها الى البغدادى •

٩٩ ـ كان رضى الله عنه مريضا يعالج فى قنا ودخل أحد الناس من بلدة ادفو فحدثتنى نفسى أن أهل ادفو لهم فضل كبير على الوالد رضى الله عنه الى أن قالت لى نفسى لربما يكون لهم فضل مادى عليه وكنت أنا فى حجرة وهو رضى الله عنه فى حجرة وقبل أن استرسل فى خاطرى هذا نادى على بصوت مرتفع وقال لى اطلب الحاج على عبد الرحيم تليفونيا وقل له أبى مريض ومسافر الى القاهرة للعلاج أرسل المبلغ الذى أودعه عندكم أمانة وهو أربعمائة جنيه فخجلت : فقال لى يا محمد أتظن أن والدك اصطحب أهل ادفو من أجل المادة • لا والله يا ابنى ما اصطحبتهم الا للتضحية فى الله تعالى فلا تجعل هذه الخواطر تمر عليك مرة ثانية وفعلا تكلمت فى التليفون وأحضر الرجل المبلغ وكان هذا من فضل الله على فلم أشك بعدها أو أخمن وازدادت ثقتى بالله وزاد حسن ظنى بأبى وشيخى وأستاذى •

(محمد أحمد رضوان)

١٠٠ ـ ومن الكرامات التى من الله بها على ابناء الساحة الرضوانية فى جمهورية مصر العربية والأقطار العربية •• الساحة الرضوانية كعبة العلماء وملجأ الفقراء • وروض السعداء ومجمع الأولياء •

من المسموم ؟

يجب أن يعلم كل مسلم أن التصوف علم وعمل وحب وخلق ، يحاول أصحابه الوصول الى المراتب الحقيقية من الطهر والايمان والتوحيد والايقان وسد مسالك الشيطان ، ولكن كثيرا ممن لم ينالوا نصيبا منه حاربوه دون تفهم وشوهوه دون علم • وصدق ابن مسعود رضى الله عنه اذ يقول « سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباغ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذى لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى •

فهل من الانصاف أن يفسر التصوف بالخزعبلات التى ألفها الناس فى الدخلاء والمشعوذين والمتسولين والجهلة الكاذبين وعلى من تقع التبعة ؟ يجيب الدكتور زكى مبارك فى مقال له سنة ١٣٥٤ •

« كان الأجدر أن يدرس التصوف دراسة موضوعية منزهة عن الغرض والتعصب المذهبى كما علمنا على تدريس الفلسفة بأنواعها والعلوم الحديثة وهى ليست من العلوم الدينية سيما وقد ثبت أن التصوف علم من علوم الدين ويتصل به اتصالا وثيقا مباشرا » •

قال أبو بكر محمد بن اسحق البخارى عن التصوف : ـ

« ان من علوم الأحوال والأحوال مواريث الاعمال ولا يرث الاحوال الا من صحح الأعمال وقال الامام الغزالى : انه يؤدى الى السعادة التى وعد الله المتقين بها وهى المعرفة والتوحيد •

ويقول سهل التسترى : التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لانه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعلم،ولكنه تخلق بأخلاق الله .

وقال الجنيـد :

ليس التصوف لبس الصوف والحزن ... بل التصوف حسن القلب والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت على ... جنح الظلام وأجر الدمع فى الغسق
دلائل الصدق لا تخفى على أحد ... كحامل المسك لا يخلو من العبق

وقال العز بن عبد السلام :

لا بالغـرور ولا بالعجب والصلف ... بالذوق والشوق نالوا عزة الشرف
صبر وشكر وايثار ومخمصـة ... وأنفس تقطع الانفاس باللهف

الى أن قال :

ليس التصوف عكـازا ومسبحـة ... كلا ولا الفقر فقر العيش والشرف
وأن تـروح وتغـدو فى مرقعـة ... وتحتها موبقـات الكبر والسرف

وقال شيخنا رضى الله عنه : « هم قوم أقامهم الحق لخدمتـه وخصهم بمحبته » .

انكشفت بصائرهم فصاروا نورا يسمعونه بكليتهم ويشـاهدونه بكليتهم ويبصرونه بكليتهم ويقول رضى الله عنه فى وصف الصـوفى : هو من لو خطرت فى قلبه خطرة دون الله تعالى سهوا لتعطل سيره » .

ويقول فى وصف آخر : « هو بيع النفوس والأحوال فمن أراد فليكن صادقا فى طلبه فالقيامة فضاحة تبلى فيها السرائر فيظهر ما فى مكنونها وما لأصحابها من قوة ولا ناصر » وبعد كل هذا فهل آن لـكل متزمت أن يزيح عن نفسه تيارات التعصب ، ويطهر قلبه حتى تشف روحـه وتنجلى البصيرة . وكم رأينا ألوانا ممن قست قلوبهم « ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » فاذا هم بعد جلوسهم مع شيخنا رضى الله عنه وازالة ما علق باذهانهم من أوهام ، يجملهم الله بالذوق والحب والمعرفة ، ويطلعهم على أسرار قوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا

هو والملائكة وأولو العلم » الآيـة . أليس عجبا أن يغتاب المسـلم بمجرد السماع ودون معرفة ، وقد قرأ قول الله تعالى :

« وما كان عطاء ربك محظورا » « أنا آتيك به قبـل أن يرتد اليك طرفك » « فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سـبأ بنبأ يقين » الآيات نعم لا يخلو جيل ولا زمن من دخلاء .

أمـا الخيام فانهـا كخيـامهم ... وأرى نساء الحى غـير نسائهـا

ولكن ألزم الله العلماء بوجوب كشف الانحـراف والتلبيس حتى يظهر التصرف الحق خاليا من الغمزات واللمزات وبفهم الناس جميعـا التصوف على معناه الصحيح .

أليس من الغرائب أن يكشف المستشرقون عن محـاسن التصوف الاسلامى وما فيه من مفاخر وجمال وجلال — أليس من الضحك المبكر أن نعلم أن جامعة أمريكية ترجمت حزب البر للشاذلى رضى الله عنه وهو من أقطاب التصوف — وقد وضعت هذه الترجمة طالبة أمريكية تقدمت برسالة الى جامعة هوفر بالولايات المتحدة .

ألسنا أولىٰ وأجدر بالبحث فى تصوف خاصة الله فنحمل لـواءهم ونذيع فضلهم وننشر معارفهم — ألسنا مكلفين بتحسين الظن حتى لا نعد من أهل الغفلات — وهل آن لنا أن نتوب حتى اذا فاتتنا المنـة فى نفوسنا فلا يفوتنا أن نصدق بها فى غيرنا « فان لم يصبهـا وابل فطل » فيتوب الله علينا « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » .

يـا من عـدى ثم اعتـدى ثم اقترف
ثم انتهـى ثم أرعـوى ثم اغترف
أبشر بقـول اللـه فى آياتـه
ان ينتهوا يغفـر لهـم مـا قـد سلف

والله نسـأل أن يطهر القلوب ، ويغفـر الذنوب ، ويدفع الخطوب ويفرج الكروب ، ويمنحنا نعمة الشهود ، ويحشرنا مع شيخنا فى دار الخلود ، ببركة حبيبنا ومولانا وملاذنا ورجائنا ونور أبصارنا وحيـاة أرواحنا وشفيعنا عند ربنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

دعـــــاء

اللهم جد علينا برضوانك واجعلنا من حرزك وأمانك وتفضل علينا بجودك واحسانك بمجاورة حبيبك المصطفى أصل السعادة والاستقامة، المنفرد بالشفاعة يوم القيامة وثبت قلوبنا على الهـدى ، وسلمنا من الزيغ والــردى ونجنا من الفتن والبلوى،وخلصنا منغرور هذه الدنيا، ووفقنا للقيام بما أمرتنا قولا وفعلا ، وتب علينـا انك أنت التواب الرحيم وسامحنا بجودك وكرمك انك أنت الجواد الكريم ، واجمعنا بشيخنا ومشايخنا واخواننا وجميع المحبين — اللهم انك تعلم أن الكفرة استحلوا قتل المسلمين فاحفظنا من شرورهم واحمنـا من كيـدهم وانصرنا على جمعهم — اللهم انا ندعوك بما دعاك به حبيبك ورسولك سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم ، اللهم يا صريخ المسـتصرخين والمكروبين ويا غياث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرين صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبـه أجمعين ، واكشـف عنـا كربنـا وغمنـا وحـزننا وهمنا ، اللهـم انا نعـوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار . اللهم يا من ذلت له رقاب الجبـابرة ، نعـوذ بجمال وجهك وكرم جلالك من كشف سترك ونسيان ذكرك . لا الـه الا أنت سبحانك وبحمدك تنزيهـا لاسمك وعظمتك وتكريمـا لسيمات وجهك أجرنا من شر عبـادك واضرب علينـــا سرادقـات حفظـك وقنا سيئات عذابك ، يا أرحم الراحمين لا الــه الا الله العظيم الحليم، لا اله الا الله رب العرش العظيـم لا اله الا الله رب السـموات ورب الأرضين رب العرش الكريم — والصلاة والسلام على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم .

(تم بحمـد اللـه)

باسم اللـه وبحمـده

فى زيارتى السنوية لضريح مولانا الامام العالم العارف ، سيدى الشيخ أحمد رضوان البغدادى الأقصرى ، بمناسبة احياء ذكراه المباركة رغب الى أخى فى الله الراعية الملهم القطب المستور ، السيد محمد ابن سيدى الشيخ أحمد رضوان ، ووارث قدمه — أن أراجع هذه الرسالة المباركة توطئة لتقديمها للطباعة .

والرسالة بقلم المحب الصادق الأخ الشيخ أحمد عبد المـالك وليس لأحد على ما يكتبه هذا العالم الوارث تعليق ، الا الاعتراف بأن الرسالة نفسها ، تعتبر كرامتـين اثنتين فى وقت معا ، كرامة لشـيخنا عليه الرضوان ، وكرامة الكاتب أثابه الله أن هذه الرسالة نفحة هـذه الذكرى المباركة ، تفيض كلماتها بالحياة ، وتفيض معانيها بالقدسية ، وتفيض أهدافها بالحب ، وتفيض جملتها بالدعوة والمعرفة والوصول وما على من يطالعها الا أن يعترف بالقصور وأن يدعو لكاتبها الصالح النقى الأديب الكاتب الوفى ، أن يجزيه الله تعالى بمـا هو أهله ، وما الله أهـــله .

وما دام فى تلاميذ مولانا الحاج أحمد رضوان أمثال هذا الكاتب العالم الراعية فلا تزال الدنيا بخير ، ولا يزال فى النـاس بقية من السلف الصالح ، يكرم الله بهم العباد ، ويرحم البلاد ويسعد الأولاد والأحفـــاد .

واستغفر الله وأتوب اليه ، وأتوسل الى جنابه بهذه الرسالة وكاتبها ومن كتبت فيه ، وما كتبت من أجله ، أن يغفر لى ما مضى ، ويصلح لى ما بقى وأن يخفف عنى ، ويلطف — لى فيما جرت به المقادير ، ويختم بالسعادة التى يختم بهـا لأحبابه ، وطلابه ، والواقفين ببابه، وعلى اعتابه .

المفتقر اليه وحده
محمـد زكى ابراهيم
رائد العشيرة المحمدية

دليل المدرسة الرضوانية

الموضوع

صفحة

تقديم العارف بالله سيدى الحاج محمد بن احمد رضوان ٥
تقـديم المؤلف ٧
اثبات كرامات الاوليـاء للدكتور عبد الباسط ابراهيم بلبول . . ٨
ترجمة الشيخ رضى الله عنــه ٢٠
صــفة الشيخ رضى الله عنــه ٢٢
أولاده رضى الله عنــه ٢٣
صلتى بالشيخ رضى الله عنه ، والاطوار التى شاهدتها . . . ٢٦
الطــور الأول ٢٧
الطــور الثـــانى ٣٠
الطــور الثــالث ٣١
محبته رضى الله عنه لخالقه سبحانه وتعالى ٣٦
محبته رضى الله عنه لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم . . . ٤١
محبته رضى الله عنه لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم . . . ٤٥
توسله رضى الله عنه وتشفعه بالنبى صلى الله عليه وسلم الى ربه تعالى ٤٨
تطوره رضى الله عنــه ٥٠
تفسيره رضى الله عنه لبعض الآيات القرآنية ٥٢
بعض كراماته رضى الله عنه ٥٥
من الملـــوم ؟ ٨١
دعــاء ٨٤
كلمة الشيخ محمد زكى ابراهيم رائد العشيرة المحمدية ٨٥

المكتبة للدراسات الإسلامية
د/ محمد عبادى نخيلات
"العبادى"
الجبيل - الأقصر

مطابع الأهرام التجارية

المكتبة للدراسات الإسلامية
د محمد عبادي شحات

أعد هذه النسخة

أحمدعبادي شحات علي

مساهمة في الحفاظ علي تراث مشايخنا وأطلب من الله تعالي أن ينفعنا والمسلمين به أجمعين أمين .

Created by AcroPlot Evaluation Version

وذلك في يوم الاربعاء ألموافق ٢٥ من جمادي الأولي عام ١٤٣٠ هجرية موافق ٢٠ من مايوا سنة ٢٠٠٩م .